





العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

طلقة تنوير 50: التبعية والاستقلال

كلمة العدد: السيادة لا تباع ولا تشترى

وعود كوشنر/ "صفقة القرن" بـ "تحسين الوضع المعيشي والاقتصادي" لغزة (والفلسطينيين) تنطلق من فرضية متضمنة أن المواطن معني بشأنه المعيشي اليومي فحسب، وأن الاهتمام بالشأن العام الوطني والقومي هو نوع من "العبث" الذي يفضل أن يُترك لأصحاب الشأن (الإمبريالية والصهيونية وأدواتهما)، وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه كل فكرة "السلام الاقتصادي" التي يتبناها اليمين الصهيوني وامتداداته، وفي تنويعة أخرى على المعزوفة ذاتها، يصبح تعطيل الحياة اليومية والمعيشية للمواطن، والحصار والتجويع، وسيلة ابتزاز سياسي الحياة اليومية والمعيشية للمواطن، والحصار والتجويع، وسيلة ابتزاز سياسي وهذا هو هدف كل العقوبات التي تفرضها الإمبريالية على الشعوب والدول، من وسيا إلى سورية إلى إيران إلى كوريا الشمالية إلى كوبا إلى العراق من قبل إلى غيره...

والخلل في هذا النمط من التفكير أنه ينظر للحياة من منظور رأسمالي صرف، واستهلاكي، وفردي، من دون أن يأخذ بعين الاعتبار: 1) أن من يرضى بالموت والإصابة والسجن إلىخ... من أجل قضايا الوطن والسيادة والقرار المستقل لن يغير موقفه بسبب مغريات مالية أو معيشية، 2) أن من يمتلك الوعي يدرك الصلة والعروة الوثقى بين الشأن الاقتصادي والشأن السياسي، وبين ما هو يومي وما هو مصيري، وبين الشأن الفردي والشأن العام، والأمم والدول التي يجد فيها الأفراد أكبر الفرص وأفضل المستويات المعيشية هي الأمم الموحدة المستقلة التي تمتلك سيادتها ومشروعها التنموي الذي دفعت الغالي والرخيص من أجل تحقيقه، و 3) أن تجربة الشعوب والدول، لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية، تثبت أن طريق المعونات والقروض الغربية لا ينتج حلاً اقتصادياً، انما المزيد من التبعية والالتحاق بعجلة الاقتصادياً، انما المزيد من التبعية والالتحاق بعجلة الاقتصاد الغربي.

ما يجب التركيز عليه هو أن النخبة الحاكمة في الغرب والحركة الصهيونية تفترض أن الشعب عبارة عن قطيع لا يهمه إلا العلف والماء والبقاء في أمان الحظيرة، وإن لم يكن كذلك، فيجب أن يتعلم كيف يصبح كذلك، بتعطيل حياته اليومية عند الضرورة، وهذا هو أساس "الديموقر اطية" الغربية في الواقع، حيث ينصرف معظم الناس عن الاهتمام بالشأن العام، شأنهم الذي يمسهم استراتيجيا ومصيرياً، ويركزون على الشأن اليومي والمعيشي ليخلو الجو للنخب وجماعات الضغط والتأثيرات الخارجية، وليشعر المناضلون والمثقفون العضويون أنهم يصرخون في صحراء لا يستمع أحد لهم فيها...

طلقة تنوير 50: التبعية والاستقلال

- كلمة العدد: السيادة لا تباع ولا تشترى

المجلة الثقافية للانحة القومي العربي... عدد 1 تموز 2018

- التبعية بين الاقتصاد والسياسة/ بشار شخاترة
الترويج للدونية كمقدمة للقبول بالتبعية/ كريمة
الروبي
احتقار الذات وتسويغ الاستعمار/ السيد شبل
ما هو الاستقلال، وما هي التبعية؟/ نسرين الصغير
كتاب "حياة البلاد في علم الاقتصاد" للشهيد رفيق
رزق سلوم/ إبراهيم علوش
المقاومة بأدوات غير قومية في معركة قومية
بامتياز/ صالح بدروشي
الصفحة الثقافية: واقع الدراما السورية بعد
الحرب/ طالب جميل
حاريخية السيرة (8) – أول الطريق/ محمد العملة
قصيدة العدد: صبوا الدماء على قبري بلا أسفي/

- كاريكاتور العدد

الشهيد رفيق رزق سلوم

لمتابعتا على فيسبوك، ابحث عن: لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

ر و ابط صديقة.

موقع الصوت العربي الحر www.freearabvoice.org

راسانا على: arab.nationalist.moderator@gmail.com



وبغض النظر عن كل ما حدث للشعب الفلسطيني منذ بدأ الغزو الصهيوني في النصف الثاني في القرن التاسع عشر، فإنه لن يتحول إلى قطيع، ورغماً عن أنف كوشنر وعمه ترامب...

وبغض النظر عن كل ما تقوم به الإمبريالية ضد الشعب العربي، وشعوب الأرض، والدول المستقلة، وضد الوعي العابر للشأن اليومي، فإنها ستكتشف، إن عاجلاً أم آجلاً، في معركة الشعوب ضِد الإمبريالية، أن بذرة التحرر والاستقلال هي التي ستزهر وتنتصر ... وبيع السيادة والقرار الوطني بالمأل ليس خياراً أصلاً.

التبعية بين الاقتصاد والسياسة

الرئيسي في المركز الإمبريالي.

بشار شخاترة

التبعيـة الاقتصاديـة مـن المفاهيـم التـي راجـت فـي عالـم مـا بعُد الحرب العالمية الثانية، وإن لم يكن حديثًا في سياق الممارسة الفعلية، فتبعية اقتصاد ما لاقتصاد آخر مُوجودة ولها قواعدها التي استقرت على أيدي الرأسمالية العالمية، فالتبعية الاقتصادية لم تقتصر على هيمنة اقتصاد على اخـر بـل أصبحـت الأداة والـذراع السياسـية للإمبرياليـة العالمية عن طريق مؤسساتها المالية التي تتمثل بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرها.

تطورت كثيراً أساليب الإمبريالية في ترسيخ تبعية الاقتصاد العالمي لها، فقليلٌ من دول العالم التي تفلت من هيمنتها الاقتصادية ويمكن القول أنه تكاد لا تخلو دولـة مـن ممارسـات الرأسـمالية العقابيـة والتدخليـة فـي اقتصاد تلك الدول وبمستويات متفاوتة، لكن يبقى الجو هر الثابت للنهج المهيمن في مواجهة ما يمكن أن نسميه النهج التابع هو ضمان استمرار تدفق المواد الأولية إلى العالم الرأسمالي واستمرار الأسواق العالمية مفتوحة أمام بضائعه، وهذا بالطبع يخلق اقتصاداً متقدماً ومتطوراً يجر خلفه بالضرورة اقتصاداً تابعاً متخلفاً على الجهة المقابلة.



المحموم على المواد الخام والأسواق التي تستازم تصريف البضائع فيها، وتبعها تطور وتصاعد حركة الاستعمار العِالمي التي قتحت أبواب الجشع الأوروبي والأمريكي على دول وشعوب العالم، حيث تم تسخير موارد وقوى الأمم المستعمَرة في خدمة الاقتصاد الرأسمالي الصاعد، وبسبب شراسة المنافسة بين القوى الاستعمارية از دادت وطأة الاستعمار وقسوته في مص دماء القوى العاملة التي توظفها في مقابل لقمة الطعام (السخرة)، في ظل هذه السياسة الاقتصادية تطورت اقتصاديات العالم غير الصناعي الخاضع للاستعمار بشكل متخلف وعكسي، حيث عملت الإمبريالية على قوننة تطور الاقتصاد التابع بطريق يبقي عليه اقتصاداً وظيفياً كمصدر للمواد الخام وتوجيه البنى التحتيـة لتلك الاقتصـادات باتجـاه ضمـان اسـتمرار اسـتخراج وتدفـق المـواد الخـام، وترافـق مـع ذلـك إيجـاد قـوى اقتصاديـة محليـة مرتبطـة بالـدورة الاقتصاديـة الهامشـية (مجموعـة مـن العمـلاء السياسـيين والاقتصادييـن) فـي دولهـا لصالـح الاقتصـاد



وحتى مع خروج الاستعمار بقيت العلاقات الاقتصادية بين الاقتصاد التابع والمتبوع على ما هي عليه، وذلك لارتباط الْفئة المحلية بالمركز الرأسمالي ولعجز الاقتصاد التابع (الهامشي) عن تطوير نفسة لنقِص الرساميل اللازمة ولانعدام الخبرة العلميـة والإداريـة، ولارتبـاط الرأسـماليين الصغـار ُبالمركـز ْالرأسـمالـي الذيـن نشـأوا وتمـددوا وأصبحـوا جـزءاً مـنُ دورته الاقتصادية، هذه العوامل أحبطت فرص بناء اقتصاد متطور في البلدان المستعمَرة، ونخلص إلى القول في هذه الجزئية أن التبعية الاقتصادية هي الوجه الجديد للاستعمار في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا النهج تكرس وأصبحت له قوانينه التي تتحكم في الاقتصاد الدولي، فيكفي مثلاً أن يصدر تصنيف عن مؤسسة موديز البريطانية لتقييم إحدى الدول بتصنيف متدنٍ لزعزعة الثقة باقتصاد تلك الدولة أو المؤسسة، هذه المؤسسة نموذج من نماذج أدوات الهيمنة الاقتصادية الإمبرياليَّة على العالم.

إن تراكم الرساميل لدي دول العالم الرأسمالي أفضى إلى توظيف تلك الرساميل في تكريس تبعية العالم الثالث بإقناعها أن التنمية تحتاج إلى تمويل، وهو متوفر بقروض ميسرة وطويلة الأجل من بنوكها، هذه الجزئية أغرقت دول العالم المتخلف بالديونّ بحيث أصبحت عاجزة عن السداد وخصوصاً مع تراكم الفوائد وإعادة جدولـة الديـون بطريقـة تزيـد منّ شروط رأس المال المقرض التي أعطت للدول الرأسمالية فرصةً للتدخل في الخطِّة الاقتصادية للدول التابعة وتوجيه اقتصاداتها بطريقة عززت من نفوذها بشكلِ أصبحِت معها الدول التابعةِ مستسلمةً لشروط المؤسسات المالية الدولية والدول الرأسمالية تستجدي رضاها لمنحها قروضاً جديدة، والغرض دائماً من تلك القروض سد العجز في ميزانياتها وليس دفع عجلة الاقتصاد وتطويره ونقله من حالة الإغماء والتبعية إلى سكة التطور.

ترتبط حالـة التبعيـة الاقتصاديـة بفسـاد مفـرط إن لـم نقـل مقنـن، فليـس عبثـاً أن نجـد ارتباطـاً وثيقـاً بيـن تز ايـد الديـن العـام لدولة من دول العالم الثالث (التابعة) وبين وجود حكام فاسدين، و هنا نقطة التقاطع بين السياسي والاقتصادي في حالة التبعية التي تعيشها كثير من الدول المتخلفة، لأنه بالحقيقة ليس قدراً محتوماً بقاء حالة الموت السريري لاقتصاديات العالم الثالُّثِ، وإن فرص الانطلاق ممكنة ومتاحة، لكنها تحتاج إلى السياسي الواعِي والمنحاز لخياراتُه الوطنية والقومية، وتبدأ من القرار المستقل وصياغة الخطة الاقتصادية بطريقةٍ مزدوجةٍ وليس أحادية الجانب، بمعنى أن الاقتصاد ليست وظيفته فقط أن يكون مصدراً للمواد الخام ينمو على هامشها وظائف اقتصادية ثانوية لا تقدر على النهوض بالتطوير الاقتصادي وتبقى على حالة الموت السريري لاقتصاديات الدول التابعة.

فالاقتصاد المستقل أو الطامح للاستقلال يوظف القطاعات المكونة له في خدمة خطة التنمية والبناء وهي الشق الثاني للخطــة الاقتصاديــة، مـع التأكيــد أن مصطلـح الاقتصــاد المســتقل ليـس موجــوداً بالمعنــي الاقتصــادي البحـت لأن الــدورة الاقتصادية غير قادرة على توفير كامل عناصرها وحتى في البلدان ذات المساحات الكبيرة والتعداد السكاني العالي والمتطورة تطوراً كبيراً كالولايات المتحدة مثلاً لكن بـلا شـك أنهـا لا تعتمـد علـي غير هـا كاقتصـاد أي دولـة مـن دول العالم الثالث، والاقتصاد الذي يطمح إلى فك عنصر التبعية يوظف إمكاناته في خدمة الداخل ويوضع في خدمة نهج استقلال القرار الوطني.

إن حالـة التبعيـة الاقتصاديـة تفتـح بـاب التدخـلات الدوليـة فـي كل تفاصيـل الحيـاة الداخليـة للـدول التابعـة، والـذي يحـدث أن شروط صنبِدوق النقد الدولي على سبيل المثال تستهدف الطبقات الشعبية الأشد فقراً، وتجد من السهل فرض الضرائب وخصوصاً الضرائب على الاستهلاك، هذا النوع من الضرائب يزيد من العبء على الفقراء ويعمق فقرهم وينعكس على الحالة الاقتصادية بشكلِ عكسى فيما يعرف بالضرائب الانكماشية، وبما يعيق نمو العجلة الاقتصادية وتطوير ها، ويلاحظ تفشي بعض الظواهُر كهجَّرة العقول إلى المراكز الرأسمالية، وما لذلك من أثر في إعاقـة تطـور الاقتصـاد وبالـذات المتعلـق بالتكنولوجيــا، والتكنولوجيــا بوتيرتهـا المتســارعة خلقـت فجــوات زمنيــة هائلــة بيـن المراكــز الرأســمالية والأطراف، وتزداد الشقة يومياً بينهما في هذا الحقل وخصوصاً أنه حقلٌ يدخل في جوانب العملية الإنتاجية.

ومن المهم إدراك اتساع شريحة الفقر في الدول التابعة اقتصادياً، ومن المهم أيضاً حساب أنها عبارة عن مستودع متفجرات بشري ينتظر شرارة التفجير، وقد شهدت كثيرٌ من الدول حالات من هذا القبيل أطاحت بانظمة حكم، لكن من الملاحظ أن هذه الدول، حتى وإن ضربتها موجات احتجاج شعبي، وحتى وإن أطيح بالإنِظمة الفاسدة فيها، إلا أن تلـك الـدول تبقـي على حـدود الفوضـي ودون الغرق فيها، و هذا ليـس مصادفـة، ويلاحـظ أيضاً أن الكمبـر ادور وبعض



السياسيين وبعض الإعلاميين ينسحبون من المشهد من باب الانحناء للعاصفة التي قد تقتلع بعض الرموز السياسية والعسكرية، لكن جوهر عنصر التبعية يتمثل بركنين الأول هو الكمبرادور والعوالق الإعلامية والثقافية المرتبطة به، والثاني هو منظومة الفساد، وليس سراً أن الإمبريالية ليست لديها مشكلة في التضحية بأدواتها السياسية في سبيل بقاء نفوذها و هيمنتها الاقتصادية والسياسية، ولكنها تستشرس دفاعاً عن قواعدها الحقيقية قدر الإمكان لأنها تؤمن لها المنفذ الهيمنة ومن الأمثلة على ذلك تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي الذي أتى لحماية النفوذ الإمبريالي في مصر في أكبر مؤسسة اقتصادية حينها في مصر ، فالتدخل ليس صحيحاً أنه جاء لضمان حماية تدفق الملاحة الدولية عبر قناة السويس، وهذه القوى الاقتصادية التابعة أو الوسيطة وإعلامها هي الركائز الخفية أو أدوات الظل التي تجني الربح من النهب المنظم وإفساد الواقع الوطني بكامل تفاصيله، لكن الجماهير لا ترى إلا مظاهر السلطة من سياسيين ورجال أمن تتوجه لها بالعنف الشعبي. ويفهم من حالة التأرجح على حافة الفوضى أن الإمبريالية تستخدم نفوذها وأدواتها لمنع الإنزلاق لأنها لا تريد أن تخسر أسواقها وموارد المواد الأولية التي تحتاجها لسير عجلة اقتصادها.

إن المجتمعات التي شهدت هبات شعبية أطاحت بالأنظمة السياسية وأتت بنظم جديدة في الشكل فقط، لأن الجوهر الاقتصادي والسياسي بقي واحداً كون القوى الاقتصادية التي تقود حركة المجتمع بشكل غير ملحوظ لم تتغير، لذلك لا تلبث أن تستأنف السيرة السابقة لكن وسط ضجيج وصخب إعلامي عن الحريات والحقوق، دون تغيير حقيقي، لذلك فإن التوقف أمام ظاهرة التبعية الاقتصادية يحتاج إلى اختراق وعي الجماهير بالفاعل الحقيقي والرئيسي على مسرح الأحداث الوطني للدول، وهذا ليس تبرئة لأجهزة الأمن والسياسيين المأجورين للإمبريالية وهؤلاء يوظفون لحماية الأوضاع القائمة و لخدمة القوى الاقتصادية المهيمنة في الساحة التي هي أصلاً تابعة أو أنها شركات عابرة للقارات، وأحياناً كثيرة لا تملك أجهزة الأمن تلك الوعي الكافي لإدراك حقيقة الجهة التي تقدم لها خدمات الأمن ظناً منها أنها تحقق أمن الوطن وتحافظ على سلامته من الاختراق وهذا أيضاً لا يندرج في إطار إعلان براءة تلك الأجهزة فهي بالنهاية شريكة بوعيها أو بدونه، وهنا ليس من نافل القول أن تضخم أجهزة الأمن الداخلي العلنية والسرية على حساب الجيوش والاستخبار الخارجي من المظاهر الملاصقة للتبعية الاقتصادية والسياسية وهذه تخدم أهدافاً بالجملة.

ما سبق يؤشر نحو العدو الحقيقي للأمم والشعوب في معركتها ضد التبعية الاقتصادية والسياسية ونزوعها للتحرر الوطني، فالمعركة مع الإمبريالية وأدواتها الداخلية أو مع رموزها الدولية المتمثلة بالشركات العابرة للقارات، ونضيف لها في حالتنا العربية القاعدة الصهيونية في فلسطين، فمن لا يربطبين هذه العناصر جميعها لا يدرك جوهر الصراع، ونجد بسبب هذا القصور في الوعي عجزاً في التحليل وفساداً في التوصل للنتائج، من هنا تتشتت البوصلة الشعبية في مواجهة أعدائها، لأنه ليس كافياً إزاحة الواجهة السياسية للحكم وأدواتها الأمنية وأحياناً العسكرية، لأن هذه الفئة بنرواز بلون تحالفاتها القائمة سيبقي الحالة على ما هي عليه ويتغير البرواز الذي يؤطر نهج التبعية ويؤتى ببرواز بلون المرحلة الجديدة وباتساعها، لكن الهيمنة باقية، وهنا لا مناص من الانتباه والتنبيه إلى أن الوعي الشعبي ببرواز بلون المرحلة الجديدة وباتساعها، لكن الهيمنة الاقتصادية التابعة أو متعدية الحدود، جمعها في معيار واحد يجب أن يدرك أن التغيير الحقيقي للنهج (وهذا المصطلح شاع مؤخراً في العديد من الأقطار) يستلزم جمع الأنظمة والحكم عليها بنفس الحكم، إذا اردنا ألا تطل علينا التبعية للغرب كل يوم، فتصفية النفوذ الإمبريالي لا يكفي معه طرح الواجهة السياسية وأدواتها الأمنية، فالمخالب الاقتصادية المرتبطة بالإمبريالية تمثل قواعد متقدمة لإجهاض حركة تحرر الشعوب، وتصفية نفوذها يتمثل بمصادرة ما تملك وتأميم المرافق الاقتصادية ووضعها في عهدة حركة التحرر الشومي وبالنتيجة في عهدة الدولة، لأنها بغير ذلك هي رأس الحربة في الثورة المضادة.

لقد تبنت بعض الأنظمة العربية في سبعينيات القرن الماضي نهج التأميم الذي اختطه الزعيم جمال عبدالناصر، مدركةً أن وضع الاقتصاد على سكة التطور والتصنيع وكسر التبعية لا يكفيه صعود أنظمة حكم وطنية إلى السلطة لذلك استكمل مشروع التحرر بقررات مثل تأميم قطاع النفط في العراق والجزائر، وهيمنة الدولة وتدخلها في الخطة الإنتاجية كما فعلت سورية مثلاً، وتدلل على صحة هذا الاستنتاج الردة القاسية والمنتقمة التي مارسها نظام كامب ديفيد في مصر على كامل الإنجازات الناصرية، بتفكيك القطاع العام وبيعه وإعادة الاحتكارات الأجنبية إلى المشهد الاقتصادي المصري علماً أنه حقق نمواً على شكل قفزات في العهد الناصري نقلت مصر من القرون ما قبل الوسطى إلى سكة التطور الصناعي التي أجهضت كما ذكرنا، وكذلك الانتقام من الجزائر والعراق وسورية.

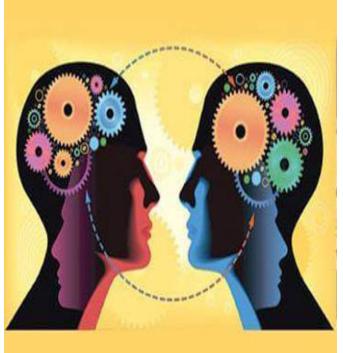


العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

الترويج للدونية كمقدمة للقبول بالتبعية

كريمة الروبى

تظل الثقة بالنفس هي المحرك الرئيسي للطموح والسعي نحو الأفضل سواء علَّى مستوى الأفراد أم الشعوب، وفي ي يتملك فيها أي شعب الإحساس بالدونية، فإنه اللحظة الت يصبح مهيأ لقبول الغازي الذي سيرى فيه المخلص والأحق بتدبير شؤونه، وهو ما يتم العمل عليه من قبل محترفي تحقيـر الـذات وتصديـر الشـعور بالدونيــة والانسـحاق أمــام النموذج الغربي، وتروج له صحف وفضائيات ومواقع تواصل اجتماعتي جعلت من هذا الأمر شغلها الشاغل كي يجد الشعب نفسه محاصر أ بفكرة واحدة ''نحن أقل قدرة من أن ننجح ونناطح الكبار ''، والمدخل الرئيسي لتلك الحملة هو تشويه الرموز الوطنية التي تصدت للاحتلال والتبعية ورفعت شعار الاستقلال والتحرر من قبضة قوى الشر التي لا يرضيها سوى أن تتحكم في العالم، تلك القوى التي لا شك أنها وراء تلك الحملات الدّي تتبنى تشويه كل من يقف أمام مساعيها في السيطرة على مقدرات الشعوب.



"الديكتاتور، القاتل، المجرم، السفاح،..." هي صفات لا تُطلق على زعماء الويلات المتحدة التي دمرت العراق وليبيا وتضرب في سورية وتحتضن الكيان الصهيوني، ولا تُطلق على مجرمي الحرب من الصهاينة، ولكنها تطلق على كل من وقف في وجه قوى الاستكبار العالمي، كل من قال

لا لواشنطن وتصَّدي لمخططاتها، كل عدو لأمَّريكا هـو بالضـرورة سـفاح وتنتشـر المعلومـات "الكاذبـة طبعـأ" بسـرعة الصاروخ على وسائل الإعلام المختلفة ويتداولها الملايين، ولا يحتاج الأمر لقدر عالٍ من الثقافة والمعرفة لملاحظة أنها حملات ممنهجة لا تستهدفُ سوى أعداء واشنطن و"تِل أبيب"، قالإخونج والنيوليبُرال لا يدخرون جهداً في تقديم فروض الولاء والطاعـة للبيت الأبيض عن طريـق تشـويه أعدائـه، والتشـويه هنــاً لا يطــال الأحيــاء فقـط فـِـي كوبــا وفُنزويــلاً وكوريـا الشمالية وبوليفيـا وسـورية وغِير هـم مـن الذيـن مـا ز الـوا يتحـدّون ويرفضـون الخضـوع، بـل طـال أيضـا الذيـن رحلوا بأجسادهم ولكن بقيت سيرتهم ملهمة للشعوب الطامحة في الاستقلال، وبالتالي المطلوب هو تحطيم النموذج وما يمثله عن طريق تشويه الفرد.

فعلى الرغم من سقوط الاتحاد السوفيتي إلا أن الحملات ضد زعمائـه (وبالأخـص جوزيـف ستالين) لـم تتوقف، ورغم انتهاء دولة يوليو عقب وفاة زعيمها إلا أن حملات التشويه التي طالته ما زالت مستمرة وأكثر شراسة، وهو ما يؤكد خوف القوى الإمبريالية من اتخاذ تلك الرموز الوطنية كنماذج تستدعيها الجماهير للخلاص من معاناتها، ففضلت أن تبادر تلك القوى بتحطيم هذه النماذج وتدمير أي أمل للخروج من دائرة التبعية، حتى وصلنا للحد الذي أصبح فيه الدفاع عن التطبيع مع الكيان الصهيوني أسهل بكثير من الدفاع عن الرموز الوطنية.

تقول مجلة التايم الأمريكية عن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر أنه "على الرغم من أخطائه وأوجه القصور لديه، أضفي ناصر شعوراً بالقيمة الشخصية والكرامة الوطنية التي كان المصريون والعرب لا يعرفونها منذ 400 سنة"، فالغرب يبدرك جيداً أن قوة الرموز الوطنية التي تسعى لتدمير ها، نابعة من قدرتها على استدعاء الشعور بالكرامة الوطنية والكبرياء لدى شعوبها مما يجعل الوقوف أمام أية قوى معادية مهما كانت إمكانياتها أمراً ممكناً، والتاريخ القريب شاهد على ذلك من بورسعيد 1956 إلى حرب تموز 2006 مرورا بفيتنام وغيرها من الشواهد التي تؤكد على القوة التي تمنحها الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة الوطنية.



لذا فكسر الإرادة الوطنية والقضاء على الشعور بالقيمة الشخصية هو التحدي الذي يسعى إليه الغرب عن طريق تجنيد عملاء وإنشاء صفحات ومواقع إلكترونية لترويجه، ويساعده في ذلك انعدام المقاومة من الأنظمة الحاكمة بل ومشاركة تلك الأنظمـة فـي هـذه الحمـلات لتبريـر الخضـوع والاستسـلام والتبعيـة.

وبالتوازي مع حملات التشويه لأعداء الإمبريالية، هناك حملات لتسويق النماذج التي ترضى عنها واشنطن ويتم الترويج لها على أنها واحة الديمقراطية وقلعة التقدم ككوريا الجنوبية التبيّ تقدم كنموذج مواجه لجارتها الشمالية الت رفضت الغطرسة الغربية فكان الاتهام بـ"الجنون، "هو مصير زعيمها، أي ترويج فكرة أن الوقوف في وجم واشنطن هو درب من الجنون بينما تسليم الإرادة للبيت الأبيض هو القرار العاقل والذي يؤدي لأن تصبح نموذجاً يحتذى بـه.

كشف هذه الحمالات ومن وراءها لا يحتاج لقوة ملاحظة، بل فقط يحتاج لعقلٍ واع يستطيع تمييز الأمور وتحديد البوصلة، فكل ما هو في صالح الويلات المتحدة وشركائها هو بالتأكيد ضد مصالحًنا، ومن ترضى عنه واشنطن عدو، ومن تعاديه صديق.

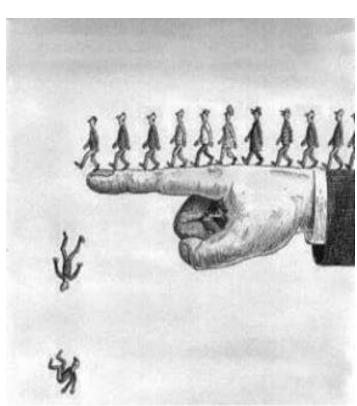
احتقار الذات وتسويغ الاستعمار

السيد شبل

الحملات التي تصاعدت في زمن "مارك زوكربرج"، والتي تهدف إلى تحقير الذات، وجلدها، وتضخيم الشعور بالنقص والدونِية، هي الصّنو أو المكمّل لحمـلات تسويغ الاستعمار الأوروبي، والتعبيـر عـن الشــوق والحنيــن له، والتي انتشرت في مصر كما في العراق ولبيا، واستفحلت إلى حدٍ وصلت فيه إلى التهكم على/والحطمن كل محاولات ونضالات الأمم المُستعمَرة للتحرر من قيد الاحتلال، ونيل الحق في تقرير المصير، والسيادة على أراضيها وثرواتها.

هذه المسارات ليست عبثية، أو نتاج مُلوثات أصابت عقول بعض النشطاء والكتَّاب في الجرائد، وإنما مخططة ومدروسة جيداً، والهدف النهائي الصريح هو الردّة على فترات التحرر الوطني والصعود العربي والعالم-ثالثي، ثم الانتكاس مجددأ

وليس عبثا أن يتزامن ارتفاع حصص الشركات الغربية متعديّــة الحدود في الأسواق المحليـة مع هذه الحمــلات. فالمنطقى أن الشعب الذي يفقد الثقة في ذاته، ويستعذب جَلدها، ويسخر من قدراته على البناء والتنمية والتصنيع والزراعة. إلخ، سيلجأ لـ"الآخر" ليعتمد على منتجاتـه أوّ على كوادره لإدارة شؤونه الداخلية، بعد أن تعرض لعملية "غسيل دماغ" أقنعته ب" "عجزه وفشله وقلة قدرته..".





العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

إذن فالجهد المحموم الدائر والهادف لتحقير الذات ليس مسألة ثقافية مجرّدة، وإنما مسألة اقتصاد وسياسة، والهدف النهائي هو تركيم أرباح، وتوسيع نفوذ مالي وعسكري، وضمان هيمنة.

يمكنك، مثلاً، أن تلمس البُعد الاقتصادي من خلال حملات التربص والتشويه الدائمة لمصانع وشركات القطاع العام المملوك للمواطنين، وتلك الحملات تحاول قول شيء واحد، وهو "أننا فاشلون في الإدارة، وفاسدون، وعلينا أن نبيع أملاكنا للاخرين، وأن نسلم الأسواق للسادة الغربيين"، بما يعني أن هذه الحملات تستهدف في النهايـة تهيئـة الـرأي العـام للقبول بخصخصة الأملاك الوطنية، بـل وتمريـر الاستعمار الأقتصـادي، عبـر تمكيـن الشـركآت الغربيـة متعديـة الحـدود للمزيد من السيطر ة.

هذه المجهودات المسمومة ليست جديدة، في الماضي حاول منظرو الاستعمار تجويزه وتبريره من خلال تصوير عملية الاحتلال والنهب على أساس أنها حركة تأريخية الآزمة وضرورية، تمضيي في اتجاه جلب التنظيم والأشياء الأفضل إلى الأماكـن التـي يسكنها الهمـج والرعـاع والبرابـرة!!، كمـا سـعي المحتلـون الصهاينــة لتسـويغ نهـب الأرض العربيــة الفلسطينية بالاستنَّاد إلى فكرة التفُّوق الغرِبِّي، الِّذي يمثِّله المهاجرون اليهود. وانطلاقاً من هذا ألتصور، تحدّث ثيودور هرتـزل عـن الإمبرياليـة بوصفهـا نشـاطأ شـرّيفاً ونبيـلاً، يهـدف إلـي اسـتير اد الحضـارة للأجنـاس التـي تعيـش فـي بدائيـة وِظلام، ولقد كان هرتـزل يـرى مشـروعه الصهيونـي مـن خـلال ذلـك المنظـور الغربـي حيـن قـال لــ"دوق بـادن الأكبِـر" أن اليهود عندما يعودون إلى ما يعتقده "وطنهم التاريخي"، سيفعلون ذلك بصفتهم ممثلين للحضارة الغربية، وأنهم سيحملون معهم النظام واللياقة والعادات الغربية الراسخة إلى هذا "الركن الملوّث والفاسد"!!.

إذن ما يجري اليوم هو امتداد لأفكار استعمارية شاعت بالأمس، ومن يروّج لها اليوم، هو مدفوع بذات الغرض، وعلينـا أن نميّـز جيـداً بيـن النقـد البنّـاء المدفـوع بمحبـة الوطـن وأهلـه، والهـادف إلـي تحقيـق النهضــة عبـر التخلـص مـن العيوب، وذلك النقد الذي يتحول إلى جلدٍ للذات، وتدميرٍ للثقة، وانبهارٍ مُفرطٍ بالأخر وتمجيدٍ له. والأعمال بالنيّات، والجمهور العادي يكون قادراً على التمييز بين هذا وذاك.

في السنوات الأخيرة يتولى مهمة تحقير الذات كمقدمة لتسويغ الاستعمار ، طرفان، ينتميان إلى المعسكر نفسه، حتى وإن ظن البعض تباعدهما، الطرف الأول: جماعة الإخوان، والطرف الثاني: النشطاء الليبراليون الجدد، ويمكن أن تتبع خطاب الطرفين بعناية، في كل شيء بداية من الرياضة وكرة القدم وانتهاءً بالمجالات الاجتماعية مروراً بالشأن الاقتصادي، لتكتشف كيف أن خطابهما، لا بدِ أن يدور وينتهي حول احتقار الذات القومية، والسخرية منها، والدعوة إلى هجرة الوطن، والانسلاخ منه، واحتقار أهله، وتمجيد الاخر.

والأخر لا يكون هنا سوى النموذج الأمريكي والأوروبي أو النماذج الدائرة في فلكه، بما يؤكد أن المسألة ليست مجرّدة من التوجيـه والتخطيط.

بالمتابعة، يمكن أن ترى كيف يسهُّلُ دوماً كيل الاتهامات للعرب، في كل مناسبة، وعن حق أو عن باطل... مثال: عندما حصل التصويت حول الدولة المستضيفة لكأس العالم 2026، صوتت أغلب الأقطار العربية، بما فيها تلك التي لديها خلافات مستحقة مع نظام محمد السادس، لصالح المغرب، وضد الو لايات المتحدة.

إلا أن قنوات الإخونج تعاملت مع الواقعة فوراً باعتبار إن العرب "باعوا.. وخذلوا.."، علماً بأن من اصطف خلف واشنطِن معروفة أسماؤهم، وعلِي رأسهم (الرياض، أبوظبي، المنامة، بيروت..)، وعددهم 7 فقط من أصل 21 قطراً عربياً يحق لهم التصويت، أي أن 14 ساندواً المغرب و7 خذلوها.. لكن بسرعة تم اتخاذها فرصة للسب واللعن وتحقير الذات على العموم.

كِذلك زايدت ميليشيات الإخونج الألكترونية باستدعاء أنقرة لسفيرها في "تل أبيب" بمايو الماضي، واعتبرت موقفه أقوى من عموم العرب؛ وهذا محض تزييف لأن أغلب الأقطار العربية (الـ 22 دولة) حتى الأن لا تملك سفارات في الأراضي المحتلة أساساً، كما لا يملك الكيان سفارات فيها، وبالتالي فمواقفها بالضرورة أفضل من موقف أنقرة الذي يصلح للمزايدة على الموقف الرسمي المصري والأردني فقط.



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

لكن لا يصلح للمزايدة على عموم العرب (العرب فيهم: سورية والجزائر واليمن وليبيا - قبل أن يخربها الناتو- وحزب الله والمقاومة العراقية...)، كما لا يصلح هُذا الموقف للمزايدة على عموم الدول ذات الأغلبيّات المسلمة، إيران، مثلًا، طردت السفير الصهيوني من بلادها، وقطعت العلاقات كلية منذ عام 1979، وتقدّم السلاح للمقاومة، لا الفرقعات

الملاحظ كذلك إن مرض احتقار الذات، والعنصرية ضد النفس موجود عند خصوم الإخونج الظاهريين من "النشطاء الجدد" الذين يقدمون أنفسهم باعتبار هم على النقيض التام في مسائل الدين والغيبيّات، وكثيرٌ من هؤلاء، الذين يمتازون بِكونهم يمينيين وأنانيين تماماً، صاربٌ كِل فيديوهاتهم الداعيّة للتطبيع والتبعية تتمركز حول الأتي: "انظِروا كم نحن أغبياء، وسيئون، ولا نستحق الحياة أو أن نمتلك مصائرنا، وأن علينا الانسلاخ عن أرضنا ومحيطنا وألواننا والتبعية

...رغم أن تبعيـة العربـي لهـذا الحلـف تعنـي، عمليـأ، مزيـداً مـن الفقـر والجهـل والتدهـور الاجتماعـي والانعـزال الطبقـي والطائفية والظلامية.. وليس العكس.. كما أن الرياض (النموذج الأكثر رجعية) لم تمتطِ ظهر المنطقة إلا بفضل الدعم الغربي.

وطبعا هذا "اليمين الذي يزعم العلمانية" لديه ذات الودّ الإخونجي للاحتلال الإنجليزي، والملكية!!.

هذا التقارب الواسع بين اليمين التابع بنسخه المختلفة (من الحداثاوي للإخونجي للمؤيد لأنظمة "الاعتدال" العربي)، يستحق الرصد، وتحديداً كشف المساعي المكثفة لتحقير الذات، ودعوة الشباب للهجرة، وتعبئة العقول بأفكار كلّها تتمحور حول الشعور بالدونية والنقص.

ومن سيملك بعد كل هذا الجهد التخريبي والأفكار المسمّمة أي عزيمـة لمناطحـة الشـركات الغربيـة، أو معار ضـة التبعيـة

ما هو الاستقلال، وما هي التبعية؟

نسرين الصغير

كيف يكون الشخص مستقلاً؟ كيف تكون الإدارة لأي مشروع مستقلة؟ كيف يكون الوطن مستقلاً؟ يبقى الإنسان غير مستقل إلى أن يصل إلى مرحلة عمرية معينة عادةً ما تكون بعد إنهاء المرحلة التعليمية المدرسية أو الجامعية، فيبدأ بالعمل (إذا وجد عملاً)، والعمل يجلب لـه المـال وهنـا يبـدأ باتخـاذ قراراتـه مستقلاً سـواءٌ في التطويـر العلمي أم العملي أم الشخصي، ويبدأ بالتخطيط بعيداً عن الأسرة التي ينتمي إليها، إلا إذا لم يكتف بالمال الذي يحصل عليه وبدأ بالبحث عن مصادر مالية أخرى، سواء كان ذلك قرض بنك أو من عائلته، هنا سيتغير الحال طبعاً، ففي حال القرض البنكي فإنه سيعمل ولكن العائد المالي له سيكون غير مستقلٍ لأن هذا المورد سيكون بشروط.

كذلك الأمر تكون الإدارة في أي مشروع، سواء كان صغيراً أم كبيراً، مستقلة في حال لم يكن مر هوناً لبنك أو لممول خارجي لأنه سييقي يعمل عندها تحت أو في ظل شروط خارجية.

أما بالنسبة للدول فالأمر لا يختلف نهائياً، ولو قمنا بقياس الموضوع على أي قُطر عربي سنجد أن النهضة العربية والاستقلال يكونَّان بعيديِّن كلُّ البعد عن المدّيونية الخارجيَّة وصَّندوُّق النقد الدُّولي والبنَّك الدولي، فأي قُطر سياسته استقلالية وغير خاضع للإملاءات الخارجية يكون مستقلاً مالياً، ولو قمنا بقياس هذا على الأقطار التي تمتلك قرارها الوطني سنتأكد من هذا الكلام.



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

أول مشروع نهوض عربي جاء على يـد محمـد علـي باشا، وِالذي لُقِبَ بالبانِي، حَيث شهدت مصر في عهده تطوراً صناعياً رهيباً ونهضة واسعة في كل المجالات، كان من أهمها الصناعة العِسكرية المتقدمة، وشملتِ ايض تطويـر قـدرة جيشـه، وقـد أسـس محمـد علـي أيضـاً لنهضـة تعليمية وثقافية واسعة وصلت إلى إرسال بعثات لأوروبا، وقام ببناء المدارس ومنها العليا بالإضافة إلى التطور في الصناعات الخفيفة والزراعة والري وغيرها من

أما المشروع النهضوي المستقل الثاني فكان على يد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر حيث قام بثورة عسكريةٍ وصناعيــة وزراعيــة، حيـث كانـت مصــر مـن قبلــه غارقــةً في التبعية للمحتل الأجنبي ولا سيطرة لها على مواردها، فقيام عبد الناصر بتوزيع الأراضي لتحويل الفلاح من عامل مزارع إلى مالك ومُنتَج فِي أرضه، وقام بتأميم شركة قناة السويس من الشركة الأجنبية المسيطرة، و هكذا أصبحت قناة السويس تحت السيطرة العربية المصرية، ومع هذه النهضة التي استمرت في مصىر والوطن العربي مدة ثماني عشرة سنةً لم يقم عبد الناصر بأخذ أي قرضِّ مـن المؤسســات الاقتصاديــة الدوليــة حتــى يبقــى متحكمــأ في قراراته سواءً في مصر أم في الوطن العربي، وهو صاحب أشهر جملة في هذا الخصوص وهي: ''المعونة الأجنبية على الجزمة"، وكانت مصر الناصرية من الدول

المصدرة لا المستهلكة فكانت تصدر القطن وغيره من المنتجات الزراعية والصناعية لأوروبا وللعالم، وبعد رحيل الرئيس عبد الناصر في عام 1970 شهدنا انبطاحاً للقرار المصري وخاصة بعد توقيع اتفاقية الاستسلام مع الكيان الصهيوني اتفاقية "كامب ديفيد" عام 1978، وبدأ التراجع إلى أن وصلت مصر إلى الحال التي تعيشها اليوم حيث باتت غارقة في الديون وتابعة اقتصادياً ومستهلكة، ورغم كل هذه الديون إلا أن الشعب المصري يمر في مرحلة فقر وعجز لم تشهدها مصر من قبل.

أما المشروع النهضوي الثالث فكان هذه المرة في العراق في عهد الشهيد صدام حسين فكانت الجامعات العراقية تقتح أبوابها لأبناء الشعب العربي من دون استثناء وكان العراق حتى العدوان الثلاثيني عام 1990 من أكثر الأقطار العربية نهوضاً صناعياً وزراعياً وتعليمياً. ففي هذه الحقبة كان للعراق أكبر عدد من العلماء والمفكرين والمثقفين بين الدول العربية إلى أن تآمر عليه الغرب واحتلة ودمر ممتلكاته وقضى على هذه المنظومة المميزة والمتطورة، ورغم الحصار القاهر الذي استمر على العراق ثلاثة عشر عاماً لم نجد القيادة العراقية تلجاً للخضوع السياسي أو المالي للغرب، واستمر العراق حِتى أخر يوم يناهض الإمبريالية، ورغم كل الحروب التي مرت عليه لم يرضخ أو يستسلم وبقى حر القرار ومستقلاً.

وكذلك الحال في سورية العروبة، سورية الأسد، هذه التجربة الحية التي نشهدها ونعاصر ها، ويمكن القياس عليها، فسورية دولة مستقلة في قراراتها وفيها نهضة علمية وزراعية وصناعية وعسكرية وهي دولة منتجة ومصدرة لا مستهلكة فحسب، وهذه الحال لم تعجب الغرب حيث بدأت المؤامرة عليها لفرض السيطرة والإملاءات الخارجية وتفكيكها، ورغم حرب استمرت ثماني سنوات إلا أن سورية بقيت شامخة وصلبة بقيادتها الحكيمة التي تعلم كل العلم، وهي مطلعة على المطامع الخارجية فيها، أن سورية لو كانت دولة تابعة ومستسلمة للغرب والكيان الصهيوني لما شهدّت مثل هذه الحرب عليها.



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد



وهنا، وبعد عرض هذه التجارب للاستقلال والحرية، سنجد معنى التبعية. إن الوطن العربي صاحب أكبر حدود مائية وأراضٍ زراعية، وفيه 359 مليون نسمة، ويمتلك أكبر مخزون نفطي وغازي وثروات طبيعية أخرى، إلا أنه برغم هذه المميزات يبقى مفككاً ومحاصراً ومحتلاً وتابعاً، فلو نظرنا لما تبقى من الوطن العربي سنجد دولاً رغم امتلاكها لأكبر حقول نفط وغاز طبيعي وأراضٍ رزاعية وفوسفات وبوتاس ويورانيوم ومصانع وملابين البشر غارقة في الديون للأجنبي ولا يمكنها امتلاك أذنى حرية لقراراتها، وخصوصاً بعد قيامها بخصخصة أشركات المحركة للدولة، وأهم قطاعات مثل الاتصالات والماء والكهرباء والموانئ وغيرها، فأغلبها مباعة أو مهونية.

إذن الاستقلال ليس مجرد يوم يحتفل فيه البعض متوهمين أنهم استقلوا عن انتداب او احتلال ليرفعوا أعلام القطر المجزأ من الوطن الأكبر، الاستقلال هو أن تكون قادراً على العمل من دون تذخل خارجي، وأن تملك حرية التصرف من دون ضغوط قاهرة، وأن تتمتع بالسيادة الوطنية، وأن تكون محرراً لأرضك من الأجنبي وحراً في قراراتك ومستقلاً فيها، وعدا ذلك لا يمكن أن يسمى الاستقلال استقلال استقلال.

التبعية الإقتصادية لا تبدأ أو تنتهي بقرض خارجي بالمناسبة، إذ يمكن للمحتل أو الطامع أن يخلق أي حجة لاختراق المجتمع، وطرقه ووسائله مختلفة ومتنوعة، فيمكن أن يحدث الاختراق عن طريق معونة لبناء جسر أو جامع أو مدرسة أو مستشفى، ويمكن أن ذلك عبر منظمات التمويل الأجنبي المنتشرة بكثرة في وطننا تحت اسم المستال "NGO's"، والتي اخترقت عقول شبابنا وخصوصاً المميزين لتقوم بالسيطرة عليهم عن طريق المنح والبعثات التي تقدمها الولايات المتحدة والدول الغربية، وهنا قد يتوهم الفرد أنه المستفيد، وعلى العكس تماماً فهو الخاسر والوطن هو الخاسر الأكبر.

وفي النهاية لا يعني قيامنا بالقياس على فرد أنه يمكن لفرد أن ينتج أو يستقل دون الانتماء لجماعة ويعمل تحت مشروع جماعي منظم، لا سيما في مجال العمل السياسي، فما تم التسويق له في الفترة الأخيرة وخاصة عبر وسائل الإعلام التابعة، أنه يمكن لشخص أو فرد ما أن يكون الإنسان الخارق أو الشخص المميز أو الرابح الوحيد، وكل هذا وهم، وإننا كأمة وكأفراد نشكل جزءاً من هذه الأمة لا يمكن أن ننجح إلا عبر مشروع نهضوي ممنهج ومنظم، ولا يمكن لأحد أن يكون كل شيء، فكل شخص ناجح لا يمكن أن ينجح دون مساعدة الآخرين، فالمجتهد لا يجتهد دون دعم أسرته ومدرسته والمؤسسة لا تنجح دون موظفيها والعاملين فيها، كذلك الوطن لا يمكن أن ينهض دون مشروع قومي حقيقي بسواعد أبنائه.



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

كتاب "حياة البلاد في علم الاقتصاد" للشهيد رفيق رزق سلوم

إبراهيم علوش

وقعت بيدي صدفة يوماً ما، خلال تجوالي في شوارع دمشق قبل الحرب على سورية بسنوات، نسخة أصلية من كُتاب "حياة البلاد في علم الاقتصاد"، المنشور عام 1912 في حمص عن مطبعة قسطنطين يني، كانت معروضة للبيع بمئة ليرة سورية على قارعة رصيف أحد الشوارع المودية لساحة المحافظة إلى جانب كتب الأبراج والطبخ والروايات البوليسية المستعملة والمعاد بيعها مراراً، وهو ما كان يعادلِ وقتها دولارين أمريكيين اثنين، وقد ذهلت لما حضنت أوراق ذلك إلكتاب الماثلة للون البني الفاتح بيدي، لأنه، أولاً، بحسب علمي، أول كتاب علم اقتصاد حديث باللغة العربية، وثانياً لأن مؤلفه هو أحد رواد النهضة العربية القومية في بداية القرن العشرين وهو الشهيد رفيق رزق سلوم الذي أعدمه الأتراك في ساحة المرجة في دمشق يوم 6 أيار عام 1916، وثالثاً لأن النسخة أصلية عليها ختم المؤلف نفسه. وقد دُرِّس هذا الكتاب فترة طويلة في بعض مدارس حمص، وفي مدرسة السلمية الزراعية وغيرها، فلا شك أن ثمة نسخاً كثيرة منه في مكانٍ أو أمكنة ما، لكنه غير متوفر في المكتبات، ولم أكن قد رأيته قط من قبل، وقد شعرت وقتها كقومي عروبي ودارس ومدرّس لعلم الاقتصاد ورث عن أبيه الشغف بالكتب أن "حياة البلاد في علم الاقتصاد" هو الذي وجدني، ولم أكن أنا الذي وجدته.

وبعد أن غُصتُ في لجج الكتاب ذي المئة والعشرين وست صفحات ذهلت مجدداً من مدى تمكن رفيق رزق سلوم من علم الاقتصاد الغربي، مقارِنة بأي كتاب تدريسي عن ذلك العلم في المكتبة العربية اليوم بمستوى السنة الجامعية الرابعة، وهو كتاب مكثفٌ جداً في مضمونه مكتوبٌ بالرغم من ذلك بطريقة مبسطة جداً لأن كاتبه ليس همه استعراض قدراته الشخصية فهو صاحب رسالة معنيّ بتعليم الناس علم الاقتصاد كجزء من مشروع عربي نهضوي، هو

بالضرورة مشروعٌ قومي، ولا يمكن أن يكون المشروع النهضوي إلا قومياً، ولا يمكن أن يتم النهوضِ والاستقلال والتحرر من دون بناء اقتصادي، و لا يمكن ان يتم ذلك من دون فكر ومِشـروع سياسـي، وهـو مــا أدِركــه رفيـق رزق سلوم جيداً، فلم يغرقْ بالتقنيات، مع أنه ذللها باقتدار لفهم المبتدئ النبيه، فـلا يـكاد يـدرك إلا المتخصصـون مـدي امتلاكم لصنعة السهل الممتنع، وفي نهاية كل فصل من فصول الكتاب وضع سلوم أسئلة سهلة مباشرة تعرّف القارئ بمدى استيعابه لمادة الدرس، ومرر أحياناً أسئلة مفتوحة بعدها تربط المادة بالمشروع القومي النهضوي مثل: «لماذا اندثرت مدنية أجدادنا العرب العظام، وماذا يجب أن نعمـل حتـي نعيـد تلـك المدنيــة المجيـدة؟» (نهايــة الدرس الرابع، ص 17)، ومثل: «إلى أية صنائع تحتاج الأمـة العربيـة اليـوم، وكيف يجب أن تسـعى لذلك؟» (نهايـة المدرس الثامن، ص 26)، ومثل: «كيف يقدر أن يخدم العالِم الاقتصادي أمته؟» (نهاية الدرس العاشر، ص 32). وعندما تناول مسالة «حرية المِباراة والمنافسة»، فإنه تناولها من منظور قومي موضحاً أن مفهوم المنافسة انقلب، و «نرى في هذا العصر أن هذه الحرب قد تغيرت وانقلبت إلى حرب أخرى اقتصاديـة» (ص 28)، و«تـرى الحكومات يزاحم بعضها بعضا في التجارة والصناعة



ولا يهمها امتلاك الأرض نفسها بل يهمها في الدرجة الأولى امتلاك مصالحها الاقتصادية والشواهد أمامنا اليوم كثيرة محسوسة ولهذا السبب تعتني مدارس أوروبا بالعلوم الاقتصادية فهي بمنزلة العلوم الحربية...» (ص 29).



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

وقد وضع رفيق رزق سلوم لكتابه عنواناً فرعياً لكتاب «حياة البلاد في علم الاقتصاد» هو (ملخص باختصار عن أحدث المؤلفات في هذا العلم)، لكنه لم يقدم ملخصاً أو يترجم فحسب، بل قدم عصارة لعلم الاقتصاد الغربي تم هضمها جيداً للقارئ العربي، كمفكر، وكمعلم، وكصاحب رسالة، يصح القول أنها نقطة انطلاق علم الاقتصاد الحديث باللغة العربية، وكأن ذلك لم يكفه شرفاً، فإن المذهل حقاً أن رفيق رزق سلوم قام به وهو في الحادية العشرين من عمره، إذ أنه ولد في شهر آذار 1891، واستشهد في 6 أيار 1916 (عن خمسةٍ وعشرين عاماً)، أما كتابه «حياة البلاد في علم الاقتصاد» ققد صدر في وقتٍ ما عام 1912، وكان قد صدرت أجزاء منه على ما يبدو على شكل مقالات في جريدة «الحضارة» التي كان يصدر ها وقتها الشيخ عبد الحميد الزهراوي الذي أهداه رفيق رزق سلوم الكتاب، والذي أعدمه الأتراك أيضاً في ساحة المرجة في دمشت في 6 أيار عام 1916، إلى جانب عدد من القادة والمفكرين والكتـاب والرمـوز مثـل الأميـر عمـر الجزائِـري، حقيد الأميـر عبـد القـادر الجزائـري، وقـد ترافـق ذلـك مـع إعدامـأت مماّثلـة في ساحة البرج في بيروت في 6 أيار أيضاً، غير الذين أعدموا في تواريخ أخرى.

كان رفيق رزق سلوم واحداً من بين عدد من الشعراء والكتاب والمفكرين العرب الذين أعدمهم الأتراك، وقد حرص والدي ناجي علوش على متابعة تراث هؤلاء الأدبي والفكري ناشراً كتاباً عن الشهيد عبد الحميد الزهراوي، وآخر عن الشهيّد عبد الغني العريسي، كما عكف على إعداد كتاب عن الشهيد شكري العسلي، ويمكن إيجاد النسخُ الالكترونية من كتابيه عن عبد الحميد الزهراوي وعبد الغني العريسي على هذين الرابطين:

pdf. مدخل-إلى قراءة عبد الحميد الزهر اوي/10/8 http://www.freearabvoice.org/wp-content/uploads

http://www.freearabvoice.org/wp-content/uploads/2018/01/%D9%85%D8%AE%D8%AA%D 8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D9%8A%D8% AF-1.pdf

كان رفيق رزق سلوم قد نشر روايـة بعنـوان ''أمراض العصـر الجديد'' عـام 1909 فـي السـابعة عشـرة مـن عمـره وهـو في الجامعة الأمريكية في بيروت، وفي صيف عام 1909 عاد إلى حمص وهناك التقي بالشيخ عبد الحميد الزهراوي ونشأت عشرة عمر بينهما، وقد ترك الجامعة الأمريكية في بيروت وذهب إلى الأستانة لدراسة الحقوق بناءً على تفاهم (سياسي-تنظيمي على ما يبدو) مع الشيخ الزهراوي، وهناك عكف على دراسة الحقوق وعلى كتابة المقالات للصحـف العربيـة مثـل (المقتطـف ـ المهـذب ـ المفيـد ـ حمـص ـ لسـان العـرب)، وكان محـرر جريـدة ''الحضـارة'' التـ يصدرها الشيخ الزهراوي، وقد بقي سلوم في الأستانة حتى عام 1914، كما وضع مجلداً بعنوان "حقوق الدول" من 800 صفحة هو نتاج دراسته للحقوق في الاستانة، وقد كان بارعاً في اللغات وفي العزف على الألات الموسيقية، وله مجموعة شعرية رشحت بعضِ قصائدها، وقد انضم للجمعية القحطانية ذات التوجه القومي العروبي وهي إحدى الجمعيات العربية السرية التي تأسست في الآستانة في 1909، التي كان الشيخ الزهراوي عضواً فيها أيضاً بالطبع، ولعـل العلاقـة بيـن الشـيخ الز هـر اوي ورفيـق رزق سـلوم الـذي ولـد لعائلـة مسـيحية أرثوذكسـية، ودرس الديـن المسـيحي ورسم راهباً قبل أن يخلع ثوب الرهبنة ويدخل غمار الحياة العامة، ودفن بعد إعدامه في مقبرة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس في دمشق، نموذج لما كانت عليه الحركة العربية القومية منذ بدأت، فلا حدٌ يباعدنا، ولا دينٌ يفرقنا، لسان الضاد يجمعنا، بغسانِ وعدنانِ.

ماذا كانت ستنتج عبقرية رفيق رزق سلوم الفذة يا ترى لو قيض لها أن تستمر عشرين أو ثلاثين سنة أو أربعين أخرى؟ هذا ما لن نعرفه أبدأ لأن المحتلين الأتراك قضوا عليها في المهد، كما قضوا على الكثير من مفكرينا وكتابنا، وربما على الحياة الثقافية والفكرية العربية ذاتها، لأن تاريخ حكمهم للوطن العربي، منذ السلاجقة، هو تاريخ انفصالنا عن الحضارة الإنسانية وتقدمها، وقد تعرض هذا المفكر العلمي ذو الميول اللغوية والفنية والشعرية لتعذيب وحشي على يد المحتلينُ الأتراكُ غداة اعتقاله في سجن عالية (في لبنان) في 9 تشرين أول 1915 تقريباً حيث قضى الأشهر أ الثمانية الباقية من حياته حتى إعدامه في 6 أيار 1916، كما جاء في رسالة لأهله من السجن في 5 نيسان 1916. وقد كتب قصيدة "صبوا الدماء على قبري بلا أسفٍّ"، وهي آخر قصيدة نظمها قبل إعدامه، كدَّعوة للثورة على الاحتلال التركي (وتجدونها في نهاية العدد 50 من مجلة "طلقة تنوير") ومطلعها:



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

لا العُرب أهلي و لا سورية داريان لم تهبوا لنيل الحق والثار

إن نمتمُ عن دمى لا كنتمُ أبداً..... وكان خصمكمُ في المحشر الباري

لكن هذا الرجل الرجل، الممتلئ إحساساً وضميراً وفكراً، الذي سار إلى حبل المشنقة كما نقلِ الرواة والشهود كأنه ذاهبٌ إلى عرس، كان يتعامل مع علم الاقتصاد بعقل بـاردٍ وعلمـي صـارم كحد السكين، وكان كأنـه جـاء بنبـوءةٍ كارثيـة يصف بها ما آل إليه على يد المحتلين الأتراك في الفصل المعنون "رأس المال"، حيث راح يشرح في ختام الفرق بين أقسام رأس المال، موضحاً ضرورة اعتبار المعلومات (العلم والاختراعات والمعرفة التكنولوجية) جزءاً من رأس المال المعنوي، مقابل رأس المادي مثل الآلات والمعدات والأبنية، قائلاً أن رأس المال المادي ''يمكن أن نعمل لـه جدولاً ونعرف قيمته في كل أمة، أما رأس المال المعنوي فلا يمكننا تقديره تماماً... ويوجد فرق آخر بين المادي والمعنوي أن الأول قائم بذاته ويثمر بنفسه وأما الثاني فوجوده منوط بحياة صاحبه وصحته، ولذلك تخسر الأمة بموت العالِم أكثر من موت الغني، لأن ثروة الغنِي لم تمت بموته، فتخسر الأمة سعيه فقط، وأما بموت العالِم فتخسر الأمة سعي الرجل مع رأس المال الذي كان قائماً بشخصه" (ص 36).

... لكن يا أستاذ رفيق، عندما يترك لنا المفكر والعالم والمعلم كتباً رائدة مثل "حياة البلاد في علم الاقتصاد"، فإن ما فيها يبقى جزءاً من رأس مال الأمة المعنوي أيضاً، ومن تراثها الفكري، الذي لا بدلها أن تعيد اكتشافه عندما تصمم على المضى في طريق نهضتها، ومن المنطقي أن تقدير القيمة المالية لرأس المال المعنوي أصعب بكثير من تقدير القيمة المالية لرأس المإل المادي، أساساً لأن تحويل رأس المال المعنوي إلى إنتاج أو ثروة مادية ومعنوية، يظل إمكانيـة كامنـة لـم تحقـق تمامـاً بعـد، أمـا مـا نخسـره مـن قتـل المفكـر والعالِـم، لا سـيما إذا كان صغيـر السـن كبيـر الوعـد مثلك، فهو كل الإنتاج الفكري الذي لِم يتحقق بعد، وكل رأس المال المعنوي الذي كان سينتجه للأمة، فكانت خسارتنا أكبر من أن تعوض، وكانت ملخصاً لقصتنا مع الاحتلال التركي في هذه الأمة.

نبذة عن كتاب «حياة البلاد في علم الاقتصاد»:

بالبرود العلمي والموضوعية ذاتها التي وضع فيها رفيق رزق سلوم «حياة البلاد في علم الاقتصاد» لا بد من نبذة عن

الكتاب وما فيه، مع الإشارة إلى أن من يقرأه اليوم ربما لا يجد سلاسة في فهم بعض التعابير التي اجترحها سلوم في العربيـة لترجمـة مصطلحـات علـم الاقتصـاد الحديـث في وقتٍ لم تكن توجد فيه مثل تلك المصطلحات باللغة العربية، وهو إنجازٌ تعريبيٌ يضاف لإنجاز اته، وهو يجري في التعريب مجرى علماء الاقتصاد الكلاسيكيين، فيسمى الإنتاج ''استحصال الثروة''، ويسمى المنظم -en trepreneur الذي يجمع الموارد الاقتصادية من عمل ورأس مال ومواد أولية في منشأة اقتصادية 'المتعهد''، ويسمى العمال "العَمَلَة"، ويسمي الإضراب العمالي "الاعتصاب"، ويسمي الفائدة كعِائد لـرأس المـال، بمــّا يختلف عن عائد منظم المنشأة الاقتصادية، "ربا"، ويسمى ربح المنظم 'تمتع"، ويسمى الآلات 'ماكنات"، ويسمي الربِّع، وهو عائد الأرض ومواَّدها، "رانت" وهو rent طبعاً، آلخ...



شهداء الحرية .. شهداء ٦ ايار ١٩١٦



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

على الرغم مـن ذلـك يتنـاول رفيـق رزق سـلوم تقديمـه الرائـد لعلـم الاقتصـاد الغربـي كمفكـر وعالـم ومعلـم، وهـو يبـدأ بتعريف علم الاقتصاد باعتباره علم استحصال الثروة (الإنتاج الاقتصادي) وانقسامها (توزيع الناتج الوطني على الطبقات الاجتماعية المختلفة) وتداولها (التبادل وتقسيم العمل والنقود) واستهلاكها، اقرأ: الإنتاج والتوزيع والتبادل

يقسم الكتـاب إلـي أربعـة أجـزاء بنـاءً علـي هـذا التعريـف لعلـم الاقتصـاد، حيث يحتـل الجـزء الأول مـن التعريـف (الإنتـاج أو استحصال الثروة) حيزاً أكبر من أي قسم أخر منفرداً، وهو يدخل فيه بتفاصيل تظهر تمكنه الوطيد من المادة العلمية، من الفرق بين قيمة الأشياء في السوق وفائدتها (الهواء المفيد الذي لا نستطيع العيش بدونه ونستهلكه مجاناً مقابل الألماس الغالي)، وعندما يتناول الأرض كعنصر إنتاجي فإنه يتناول التربة الزراعية والمعادن في جوف الأرض وعلى سطحها والمنــآخ والموقع والقوى الطبيعيــة المولـدة للطاقـة مثـل المـاء والهـواء والشـمس، وعندمــا يتنــاول العمـل كعنصــر إنتاجي فإنـه يفرق بين العمل كطاقـة إنسـانية والعمـل كمفهـوم اقتصـادي، واضعـأ العمـل البدنـي والذهنـي الموجـه اقتصاديـأ في إطّار واحد هو العمل الاقتصادي. تعريف رأس المال في الكتاب أنه عنصر إنتاجي تشكّل من خـّلال تراكم الأشياء المدخرة بقصد استعمالها ثانية لإنتاج الثروة (ص 33)، وفي تفسيره لكيفية نشوء رأس المال بعد عملي، فهو ينشأ عن اختراع أو فكرة جديدة يتم استثمار مدخرات في تحقيقها أو تنفيذها، مثلاً عندما يقرر صياد في مجتمع صيادين على البحر أن يمتنع عن الصيد فتِرةِ زمنية ما لكي يبني قاربا يتيح له أن يصطاد في مياهٍ أعمق بعيدا عن الشاطئ، مما يتطلب وجود فكرة القارب أولاً، ومدخرات من الأسماك تسمح للصياد وعائلته أن يعيشوا ريثما يبني قاربه، يتشكل رأس مال إنتاجي جديد هو قارب الصيد، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن رفيق رزق سلوم برع بضرب الأمثلة المبسطة التي توضح الأفكار والنظريات المعقدة بطريقة سهلة وسلسلة.

الفائدة (الربا) هنا هي العائد الإنتاجي الإضافي الناتج عن استخدام رأس المال الجديد، ويصر سلوم هنا على التمييز بين الربًا في القرون الوسطى و عائد رّ أس المال المنتج في العصر الحديث: فلنأخذ مثلاً "امِراة تشتغل بالخياطة كل يوم بعشرة قروش فأتاها رجلٌ غنيٌّ وأعطاها ألف قرش ثَمن ماكنة خياطة فأصبحت هذه المرأة تحصّل من يومها عشرين قرِشًا فصارت تربح إذن في اليوم عشرة قروش زيادة على ربحها السابق، فهذه العشرة قروش هي حصة راس المال، لأنها لم تحصل إلا بمعاونة صاحب المال فاقتسام النفع بينهما معقول وليس هذا كما كان يجري في القرون الوسطي من الشناعات التي لأجلها حرم الفلاسفة والشرائع الربآ" (ص 62-61).

أما معدل الفائدة، أو العائد على رأس المال، فيتحدد من خلال العرض والطلب مثل كل شيء أخر، فعندما تـزداد المخاطرة، يقل عرض رأس المال للاستثمار، وبالتالي يرتفع عائده للتعويض عن ذلك، وعندما يزداد الطلب على رأس المال للاستثمار يزداد عائده، والعكس صحيح، ففي الدول الأكثر تقدماً، التي أنجزت مشروعها التنموي، تقل فرص الاستثمار المتاحة، مما يزيد عرضه، ويقلل عائده، وعندما يحدث تطور تكنولوجي تنشأ فرص استثمارية جديدة (مثلاً اختراع القطار، مما يتطلب إنشاء مصانع قاطرات ولوازمها وسكك حديد إلخ...) يزيد الطلب على رأس المال، مما يرفع عائده.

و لا بد مِن الإشارة إلى أن رفيق رزق سلوم يتبنى وجهة نظر رأسمالية صيرف، مناهضا تدخل الدولة في الاقتصاد، ومناظراً الاشتراكيين، وهو أمر يحتاج لمناقشة ونقد، ولكنه قد يكون مفهوماً إذا أخذنا بعين الاعتبار إشاراته المتكررة لتدخل الدولـة العثمانيـة المدمـر فـي إعاقـة التطـور الرأسـمالي بسبب بيروقراطيتهـا وفسـادها وتخلفهـا المفـرط، فلننظـر مثـلاً للدرس الخياص بالشركات المساهمة (الأنونيم) التي اعتبرها ضرورية لتأسيس الأعمال الكبيرة مثل سكك الحديد والبواخر والغاز والماء وغيرها، يقولُ سلوم في هذاً الصدد: "تأليف مثل هذه الشركة يتوقف في بعض الممالك على إذن من الحكومة، وفي بعضها لا يحتاج إلى ذلك، أما في دولتنا العثمانية فلا تتألفَ إلا ببارادة سُنية (يعني من أعلى المستويات الحكوميــة ـــ إ. ع) فيكتـب المؤسسـون اسـتدعاء يذكـر فيــه موضــو ع الشــركة ومــدة دوامهــا ومقــدار رأســمالها وصورة توزيعه وقانونها الأساسي وكل هذا يقدم مع الاستدعاء إلى نظارة التجارة والنافعة وبعد أن تبحث فيه تحوله إلى الصدارة (الصدر الأعظم، يعني رئاسة الوزراء - إ.ع) ومن هناك يحول إلى شوري الدولة لتتذاكر فيه ثم ترسل الأوراق ثانية إلى الصدارة وهناك يتذاكر به مجلس النظار وبعده يعرض على الملك للتصديق عليه فبعد التصديق يحق لهم تاليف الشركة" (ص 40 -41).



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

ويجادل سلوم كثيراً ضد الضرائب معتبراً أنها تضعف حوافــز العمــل والاســتثمار، ويركــز علــي مجموعــة الضر ائب العثمانية المسماة (الويركو) وفي البداية يقول، ربما بسبب الرقابة، أنها حق للحكومة على الشعب لتأمين الأمن والإنفاق على القضاء، ومن ث يطفق في تعدادها قائلاً: ''ومنها رسم الطرق وهو أن على كل فرد أن يشتغل أياماً في السنة في الطرق ومن لا يشتغل بنفسه يدفع البدل ومنها الأعشار فيؤخذ من الحاصلات غير الصافية (أي قبل خصم تكاليف الإنتاج _ إ. ع) عشرة في المئة، ويضاف قرش ونصف أيضاً للمعارف، ومنها رسوم الأغنام فتعد في كل سنة ويؤخذ عن كل رأس مقدار معلوم، ورسوم الأملاك والويركو الشخصي، وهو ما يدفعه كل فرد بالنسبة إلى صنعته وموقعه" (ص. 123).

الشمبد الشمبد شميد عمر الجزائري عبد الدعبد شنبز بك المربد الزحراوي العظم الشميد عبد الوماب الانكليزي الشميد رشدى الشمعة رفبق رزق سلوم الشميد شكري المسلي

ونلمس عموماً أن رفيق رزق سلوم يقدم رؤي ً أيديولوجية تعزز فكرة التراكم الرأسمالي من دون عوائـق، وأن موضوعـة العدالـة الاجتماعيـة تأخـذ مكانـة أدنى في تفكيره، من دون أن يهملها، و هو الأمر الذي ربما يبرره الحرص على تحقيق التنمية الاقتصادية في الوطن العربي بأسرع وقت ممكن، ومن هنا دفاعـه عـن ''الماكنـات'' أو الألات ودور هـا فـي زيـادة 📕 الثروة ورفع الإنتاجية (ص. 50-47)، ومع ذلك فإنه

يتبنى ما ذهبت إليه الدول الأوروبية من تحديد لساعات العمل والبناء الصحي للمصانع وتوفير أرباب العمل الطعام والمساكن والمدارس بأسعار زهيدة للعمال، مضيفاً ''وفي أوروبا الأن قد وقف جيش العملة (العمال) والاشتراكيين في طريق المتمولين ووضعوا حداً لاستبدادهم" (ص. 50). كما أنه يدافع عن حق العمال بالإضراب (الاعتصاب) معتبراً الإكثار منه مدمراً للاقتصاد، فلا بد من اللجوء للتحكيم (ص. 70)، وهو مع حق تشكيل النقابات العمالية بشرط عدم تدخلها بالسياسة واقتصارها على الأهداف المطلبية، كمّاً يدافع عن تشكيل التعاونيات الإنتاجية والإقراضية، ويعتبر التعاونيات الإنتاجية التي يكون فيها العمال شركاء مشروعاً فاشلاً (ص. 75).

يبدو الإطار الأيديولوجي الذي ينطلق منه سلوم في "حياة البلاد في علم الاقتصاد" أقرب للديموقراطي البرجوازي بالتعريف اليساري، وهو ليس بالأمر المستغرب عندما يكون المطروح والمطلوب تارِيخياً هو ثـورة ديموقراطيـة تحقق الاستقلال عن الأتراك والنهضة في إطار قومي عربي، وإذا كان ما كتبه ملخصاً للاقتصاد الغربي في الواحد والعشرين من عمره، فلعله كان سيطور طروحاته مع المزيد من التعمق، لا سيما أنـه لـم يكن يخلـو من النّزعـة النقديـة كما نلاحظ في تناوله لطروحات روبرت مالتوس حوّل الفرق بين نمو السكان بمتوالية هندسية ونمو الموارد بمتوالية حسابية مما يسبب الفقر والمجاعات والمرض إلخ... مما يجعل جزءاً من السكان دوماً "كتلة فائضة عن اللزوم" لا بأس من زوالها بطريقة أو بأخرى، فرفيق رزق سلوم يرد عليه بقوة، معتبراً أن ما ينطبق على الحيوانات الذين يتكاثـرون بمـا تتيحـه المـوارد المتوفـرة بـلا تفكيـر لا ينِطبـق علـى الإنسـان الـذي يستخدم عقلـه، فهـو لا يقـدم علـى مشـروع الزواج في أغلب الأحوال قبل أن يؤمن وضعه مادياً نوعاً ما، كما أن للمدنية متطلباتها، ومنها زيادة سنوات التعليم في المدرسة والجامعة، وازدياد تكاليف الحياة، مما يؤخر وقت الزواج ويقلل الإنجاب، كما أن زيادة الإنتاج في الصناعة والتجارة وغيرها من قطاعات الاقتصاد تثبت أن العلم والتكنولوجيا أكثر من قادرين على حل مشكّلة النّدرة، وأن المشكلة تنشأ في الدول المتخلفة التي تتأخر فيها المؤسسات الإنتاجية ويتأخر التقدم العلمي والتقني (ص. 76 – 81).



ولكن حتى هنا نلاحظ أن الحس القومي لا يغيب عن رفيـق رزق سـلوم: "مـن الوجهـة السياسـية لا يمكـن استحسـان النقص في العدد لأنه يدعو إلى انقراض تلك الأمة وضعفها أمام مجاوريها فتخلو البلاد من أهلها فيأتيها الغرباء ومهما تقدمت المعدات الحربية فإن الكثرة لها تأثيرً عظيمٌ في الظفر والغلبة" (ص. 78)، ثم يشرع سلوم بعد ذلك في تحديد الشروط التي تجعل من الهجرة خارج الوطن عامل قوة أو عامل ضعف، وينطلق بعد ذلك للدخول في الكثير من الشؤون الاقتصادية مثل التبادل والنقود والبنوك، ومثل التجارة الخارجية وضرورة خوض غمارها من منطلق تقوية العلوم والمعارف لا من منطلق حماية الفشل المحلى بالجمارك، ومثل الاستهلاك وأنواعه وأشكاله وأبعاده، ولعل أضعف جزء من الكتاب هو ذلك الذي يعالج مشكلة الأزمات الاقتصادية التي يشير إليها في أقل من صفحة واحدةٍ، فيعزوها إما للحروب أو للتوسع غير المدروس في الاستثمار أكثر مما تحتمل السوق وهو الأمّر الذي يتطلب تصحيحاً، ومع ذلك، فإن ما قدمه رفيق رزق سلوم لا يحاكم بمقاييس اليوم، ولا بمقاييس الغرب، بل بمقاييس الوطن العربي في العام 1912، وبصفته تلك، فإنه سلك درباً غير مطروق، وفتح طريقاً ريادياً كان سيتحول إلى مدرسة عربية في علم الاقتصاد لو تم البناء عليه، لكن تعثر المشروع النهضوي العربي، الذي كان سلوم أحد شهدائه، جعلنا نعيد اكتشافه من جديد، لأن الحاجة إلى مثل ذلك المشروع لا تزال قائمة حتى يومنا هذا بدرجة لا تقل عما كانت عليه في العام 1912.

المقاومة بأدوات غير قومية في معركة قومية بامتياز: القطرية في لاوعى "القوميين"

صالح بدروشي

فكرة هذه المقالة جاءت بعد أن بلغ إلى مسمعنا تساؤل طرحه مناضل قومي عربي، وأحد المقاومين اليمنيين الأُشاوس الذين يتصدون منذ سنوات لعدوان آل سعود وأذنابهم، السـؤال كان برسـم مـا يسـمي بالنخـب السياسـية المثقُّفة عموماً، لا سيما القوميين منهم، وهو: هل ظهرت بوادر الترابط والارتباط الكلِّي لِمَا يُحْدُثُ في سورية واليمن وليبيا وعموم الوطن العربي؟

قد يبدو هذا التساؤل وللوهلة الأولى بسيطاً في ظاهره، لكنه عميق في جو هره ويحمل في طيّاته كلمة السّر للخروج من الوهن الذي يصيب المشروع القومي العربي

منذ انطلاقة أحداث ما سمى "ربيعاً عربياً" نبّه بعض التسلسل الزمني والمكاني، وكانت ضمن مشروع منظّم

مشاريعها وهذه العناصر هي:

الناشطين السياسيين من خلفيات إيديولوجية متنوّعة إلى أن ما يحصل هو حريـق عربـي أو زلـزال يستهدف الأمـة العربية برمّتها، وأن الأحداث، وإن جاءت متفرّقة من حيث التوقيت والجغرافيا، إلا أنها كانت متناسقة من حيث ينطلق من رؤيـة استراتيجية موحّدة تستهدف أمـة بأسرها.

أربعة عناصر رئيسية مؤثرة ومتأثرة تدور في فلك الأحداث الدامية التي يشهدها وطننا العربي لا بـد مـن تحديدها وتوضيح الخيـط الرابـط بينهـا وتحليـل الياتهـا وفهـم



الإمبريالية.

2) أدواتها - الرجعيات العربية - وحلفاؤها.

3) حلفاؤنا.

4) نحن أصحاب الأرض والحقّ.

1- الإمبريالية:

تتعامل القوى الإمبريالية مع الأقطار العربية ومجريات الأحداث فيها وتنظر إليها بصفاء، حيث لا تُقِيم وزنًا لحدودٍ و هميـة تعـي جيّداً أنهـا هـي مـن وضعتهـا لنراهـا نحـن ولترتسـم فـي أذهاننـا وأعيننـا لتقيّدنـا بهـا مـن دون أن تنخـدع هـي بهـا، فكل أقطـار الوطـن العربـي بالنسـبة للعـدو الصهيو-أمريكـي عبـارة عـن وحـدة متكاملـة لا تتجـزٌ أ، ويأتـي تحركهـا فـي كل قطـر ضمن خطة صغيرة قد تبدو بمعزل عن باقي الأقطار إلا أنها - أي المشاريع الصغيرة - تلتقي قي النهاية لتصئب في مشروع استراتيجيّ كبيرٍ يسعى لاستمرارية تالوث التّجزئة والاحتلال والتخلّف كضمانة لاستمرار خضوعنا ونهبّ

فالقرارات التي تتّخذها في القطر الليبي تتماشى مع الخطوات التي تنتهجها في اليمن، ومواقفها في سورية متناسقة مع تحركاتها قي مصر والعراق، فالتحرك في أي قطر ليس بمعزل عن القطر الآخر بل هو بما يخدم المشروع الاستراتيجي للإمبريالية، وهو إبقاء أمة العرب متخلفة ضعيفة مقسّمة خاضعة للنفوذ الغربي.

2- أدوات الإمبريالية وحلفاؤها:

أدوات الإمبريالية في الوطن العربي تتمثل أساساً في الرجعيات العربية، سواءٌ كانت تلك الرجعيات حاكمة - مجلس التعاون الخليجي نموذجاً- أم قوى سياسية – الإسلام السياسي نموذجا-. أ) الرجعيات العربية الحاكمة:

هي عبارة عن منظومات جِيءَ بها لتحلّ محلّ الحاكم العسكري الذي تعيّنه الدولة المحتلة، مهمة هذه الأنظمة هي إدارة شؤون "الدول"، بما يَخدّم المصالح الغربية، الشيء الذي يَجنب الإمبريالية خطر التصادم المباشر مع الشعوب المحتلة أحتلالاً غير مباشر، وبالمقابل تحظى أنظمة الحكم العميلة بدعم القوي الإمبريالية لبقائها في السلطة علاقة الإمبريالية بعمِلائها أو شركائها هي علاقة متينة ولئن اختلفت الأدوات والأوجه إلا أن المبدأ واحد ومستمرّ ضمن منظومة واحدة، مثلاً، ما يهم الأمريكان هو بقاء دويلة قطر خاضعة لسلطانها... قد يكون التنسيق في دويلة قطر مع خليفة بن حمد آل ثاني أو مع ابنه حمد الذي انقلب عليه أو مع أي شخص آخر شريطة أن يتمتّع هذا الشخص بكلّ المواصفات التي تمكنه من القيام بوظيفته.

وبالمحصّلة تدرك منظومات الحكم الرجعية العربية أن وجودها مرتبط ببقاء واقع التجزئة والاحتلال والتخلف ولا مكانٍ لسلطانهم في حال توحّدت الأقطار العربيـة، وتعـي الرجعيـات العربيـة الحاكمـة أن مشـاريع الوحـدة والتحريـر تشكّل خطـر أ على وجودها قبل أي شيء آخر فلهذا لن تسمح هذه المنظومات لأصحاب المشروع الوحدوي بتجريف الأرض تحت

لهذا نرى منظومات الحكم الرسمية العربية تتحرّك خارج حدود سايكس-بيكو وتوحّد جهودها لمواجهة الساعين إلى إنهاء واقع التجزئة.. وفي هذا السياق طرحت مبادرة ضمّ المملكة المغربية والمملكة الأردنية إلى مجلس التعاون الخليجي المتعاون مع الإمبريالية ضد مصلحة الأمة العربية والمشروع القومي العربي وهذا رغمًا عن بعد هذه الدول عن منطّقة الخليج في حين لم يتمّ قبول اليمن التي هي في قلب منطّقة الخلّيج أو هي أقرب دولة متلاصقة مباشرة مع دول الخليج ؟ إ.

ب) الإسلام السياسي - كأحد أهم أدوات الإمبريالية- والقوى الإقليمية الداعمة له مثل تركيا: في قراءة سريعة لتّاريخ الاسلام السياسي في الوطن العربي يمكننا أن نُعرّف حركات الاسلام السياسي على أنّها أدوات صاحبة مشروع استِراتيجي رَخوِي، لا يستنكف من إقامة أي علاقـات مـع أي طـرف حتـي ولـو كان الطـرف الصهيـو-أمرِكي. لقد سبّق وأن تعاملُت قوي الإسلام السياسي منـذ نشأتها علـي يـد الاحتــلال البريطانـي مـع الإمبرياليـة لمواجهـة الأنظمَة القومية ولمواجهة القوى العروبية واليسارية.



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

واليوم نـرى بوضـوح كيـف تتحـرّك قـوى الإسـلام السياسـي والإخـوان، خاصـة فـي الوطـن العربـي، وفـق سياسـة موحّـدة وإن تنوّعت التنظيمات في الأقطار العربية، فنجد إخوان تونس ممثلين في ''حركة النهضة'' مثلاً قاموا بتركيز مقرّهم الرئيسي بجانب السفارة المصرية أثناء حكم الإخوان لمصر آملين بقاء مرسي والتنسيق مع السفارة مباشرة، كما زادت وتكثُّفت لقاءات التنظيم العالمي للإخوان المسلمين في تركيا ومصر وليبيا وتونس حتى أنهم لم يتردّدوا في دفع حركة حماس إلى التنكّر لسورية وتوجيـه سـلاحهم لقتـل السـوريين والجيـش العربـي السـوري الـذي كان يأويهم ويحميهم وكان ذلك التنكُّر بشكل مذهل ومخجل يعجز عن وصفه الكلام...

أي أن الرجعيات العربية تتجاوز واقع التجزئة وتنسّق في ما بينها لإجهاض أي مشروع تحرري عربي مهما كانت

3- حلفاؤنا:

يمكن تعريف حلفاء الأمة العربية على أنها مجموعة القوى أو الدول التي يجمعنا معها العداء للإمبريالية وتتشابك مصالحها مع مصالحنا.

هؤلاء الحلفاء هو الروس والإيرانيون والفنزوليون والصّينيون وغيرهم من الأمم النّي تجمعنا معها مصالح مشتركة والتي تحرص على مصالحها القوميـة وترفـض الهيمنـة الإمبرياليـة علـى شـعوب العالـم.

يتعامل هؤلاء الحلفاء معنا بدرجات متفاوتة ضمن رؤية استراتيجية شاملة لمصالحهم في كامل الوطن العربي ويربطون بيـن مـا يحصـل فـي ليبيـا بمـا يجـري فـي صنعـاء ودمشـق ويعلمـون جيّـداً أن الوجـود الغربـي الإمبريالـي والمخطِطـات الإمبريالية في الوطن العربي تهدّد مصالحهم واستثماراتهم في الوطن العِربي بأسره، لهذا تجاوز حلفاؤنا أيضاً حدود التجزئـة الاستعمارية خـلال تحركاتهم ومواقفهم السياسـية مـن مجريـات الأحـداث فـي السـاحة العربيـة.

المقصود بنحن هنا هو القوى السياسية العربية القومية واليسارية، سواء المنظمة منها مثل الأحزاب والتنظيمات والدول المقاومة على غرار سورية وما شابهها إن ؤجدت بالإضافة إلى النخب والمثقفين الذين يفترض أنهم مناهضون

للأسف الشديد عند قراءتنا للواقع العربي اليوم نجد أن أغلب القوى السياسية العربية والنخب خاضعة لواقع التجزئة يتحرّكون في ساحاتهم كما لو أنها ساحات معلّقة في فضاء منعزل. فلا وجود لأيّ تنسيق فيما بينها، ولا وجود لمشروع سياسي استراتيجي موحّد عابر للأقطار العربية يحاول تفعيل العمق العربي من طاقات وشباب مستعدّ لخوض عمار المعركة ضد التحالف الصهيو أمريكي الرجعي لو يجد من يؤطّره.

فما هي الأسباب؟

أفلحتَّ عقود طويلة من التجزئة في استبدال الوعي القومي بآخر قطري وعشَّشت القطرية في لاوعي الغالبية العظمى من أبناء أمَّة العرب. حتى دعاة القومية، جزَّءٌ كَبيرٌ مِنهَّم، إنَّ لم نقَّلَ أغلبهم، استحكَّمت القّطرية قي وعيهم وحتى لاوعيهم.. وفعلت آثـار التجزئـة فيهم فعلها حيث لم تتمكّن إلا قِلّـة قليلـة منهم من الإفـلات من براثـن "سايكس بيكو" ووهم الحدود التي رسمتها الإمبريالية على الخرائط.

أن تستولي القطرية على لاوعي المناضل لهو أمرٌ أشد خطراً وفتكاً من أن تستحكم في وعيه. فمن كإن وعيه قطرياً يكفي أن نزيح الغشاوة عن عقلـه حتـي يتـم بنـاء وعِـي قومـي جديـد نقيـض للوعـي القطـري الزائـف، وأمـا مـن تعشـش القطرية في الوعيه فهي ستنعكس بالضرورة على أدائه وطريقة تفكيره وطريقة تحليله ونظرته للأشياء بشكل جو هري.

ببحثنا عن أبرز الأسباب التي أدت إلى تحول العديد من الوحدويين من قوميين، على مستوي الخطاب والشعارات، إلى إقليميين، من حيث المضمون والرؤيا والفعل، نجد أن السبب ربما هو هروب الكثيرين من أصحاب النفوس الانهز اميـة والانتهازية من تحمل تبعات عبء مشروع قومي عربي من العيار الثقيل وإدراك الكثيرين منهم أن مشروعاً من هذا الطراز يستوجب نفساً طويلاً والكثير من العطاء ونكران الذات ولا مجال فيه اتحقيق مكاسب ذاتية على الأقل على المدى القصير، إذ لا يوجد فيه مكان للباحثين عن منصب برلماني مثلاً، حيث أن الكل يدرك أن الوقت لا يزال مبكراً على الحديث عن نشأة برلمان عربي على المدى القصير أو المتوسط.



كما أن فرص الحصول عِلى عضوية مكتب سياسي أو أمانـة عامـة في حـزب قومـي عربـي موحـد أو حركـة شـعبية عربية منظمة تصبح ضئيلة جدأ مقارنة بعدد اللاهثين وراء تحصيل منصب سياسي ما، بينما تصبح فرص صيادي المناصب ومرتزقة الخط الوطني أكبر في حال تم تحريف بوصلة التيار القومي وتبني نهج قطري في الممارسة العملية عبر تأسيس دكاكين حزبية متعددة في كل قطر على أن يصبح الهدف من وراء تأسيسٌ هذه الكانتونات هو البحث عن بعض المكاسب الأنية في منظومة الحكم القطرية، وإن كانتُ هذه المكاسب عبارة عن تحصيل عدد صغير من المقاعد البرلمانية لا تسمن ولا تغنى من جوع. تظل عاجزة عن تأسيس مكاسب قومية بقدر ما تلعب دور المحسّن "الديكوري" لمشهد قطري قبيح خاضع للإمبريالية، وهي تساعد عملاء الإمبريالية على استلاب الوعي الشعبي وتمرير السياسات

الإمبريالية كوجهات نظر مقبولة، بل وأغلبية في مسار "ديمقراطي"، ويستمد هذا المشهد مشروعيته من خلال وجود عدد من أدعياء القومية واليسار في صفوفه. ليس كل أصحاب هذا النهج التحريفي انتهازيون بالضرورة، فمنهم عدد كبير من التائهين الذين طالت بهم سنوات الانتظار وتعبوا من امتشاق طريق الثورة لطولـه ووُعُورتـه وباتـوا يشكّون في نجاعة مسلكيتهم الثورية بعد أن انتشر في صفوفنًا "مثبطو" العزائم من المرتزقة والمتاجرين بالسياسة.

مربط الفرس في حديثنا هنا هو تأثير القطرية التي سيطرت على لاوعي القوميين والتي باتت السمة الأبرز لغالبية التيارات الوحدوية من حيث الممارسة كنتيجة منطقية تفرّزها أدوات التحليل الفاسدة. في الخلاصة نجد أن أعداء الامة العربية وحلفاؤهم وحلفاء الأمة العربية يتحرّكون في وطننا العربي وفق رؤية "قُومية" وبأدوات "قومية" إن صحّ التعبير أكثر من أصحاب المشروع القومي العربي.

الصفحة الثقافية: واقع الدراما السورية بعد الحرب

طالب جميل

خلال الثلث الأول من العام 2011 كانت بوادر الأزمة قد بدأت في سورية، وخلال أشهر قليلة أصبحت الصورة

أوضح وبات الأمر لا يحتمل الشك بأن سورية على وشك حرب وأن هنالك مؤامرة كبري تتعرض لها قد تودي بها إلى الهاوية، وهذا ما حدث بالفعل حيث دبت الحرب في كل أرجاء سورية وأصبحت الحياة فيها صعبة، والبقاء والصمود بحد ذاته أصبح نوعاً من أنواع البطولـة.

بدأت الحرب تلقي بظلالها على كافة القطاعات الإنتاجية في سورية، وبدأت عجلة الإنتاج بالتراجع شيئا فشيئا، أماً صناعة الدرما فأصابها كثيرٌ من الضرر كغيرها من الصناعات، وصارت حالة التراجع واضحة في الإنتاج الدرامي على مستوى الكم والنوع، خاصة في ظلَّ انشخال الدولة بالحرب والدفاع عن وحدة سورية والحفاظ على تماسكها وعدم السماح لأعدائها في الداخل والخارج من بسط سيطرتهم ونفوذهم وهو الهم الأساسي الذي يضمن الخروج من الحرب بأقل الخسائر.

بعد العَّام 2011، وخلال سنوات الحرب، انخفض عدد الأعمال الدرِامية السورية التي تنتِج إلى حوالي (20) عملاً سنوياً (وهو ما يعادل تقريباً نصف عدد الأعمال





العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

التي كان يتم إنتاجها سابقاً)، وبجودة أقل مما كانت عليه قبل الحرب، حيث غيرت الحرب قواعد العرض والطلب على المنتج الدرامي السوري، وظهرت أزمة تسويق خانقة نتيجة مقاطعة المحطات والقنوات الخليجية والممولة خليجياً وبشكل جماعي ومقصود للأعمال السورية واعتمادها على شراء الأعمال التركية المدبلجة وبعض الأعمال المصرية والخليجية، مما شكل ضربة قوية للدراما السورية التي كانت تعتمد في تسويق أعمالها على السوق الخليجي بشكل رئيسي، ومما أدى إلى أن يصبح الطلب على الأعمال السورية محصوراً بالقنوات السورية التي ألزمتها الدولة بشراء الأعمال السورية، والقليل من القنوات في بعض الدول العربية مثل لبنان وتونس والأردن والجزائر.

ازداد الأمر صعوبة عندما بدأ يواجه صنّاع الدراما صعوبة في إيجاد أماكن آمنة لِلتصوير، فأغلب المناطق المفضلة للتصوير أصبحت تحت نيران القذائف وبعضها أصبحت مناطق اشتباك والبعض الأخر أصبح تحت سيطرة الجماعات الإرهابية، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل أن هجرة عددٍ كبيرٍ من السوريين إلى خارج البلاد نتيجة الحرب أدى بالضيرورة إلى أن يكون من بينهم فنانون وكتَّاب نصوص ومخرجون وفنيون، منهم من اعتبر خروجـه من سورية حالة «معارضة» ورفض للبقاء تحت حكم النظام الموجود، وبالتالي تحولت هذه الحالة وتطورت إعلامياً وصارت على شكل اصطفافات وسرعان ما تحولت إلى حالة اشتباك أدت بطبيعة الحال إلى خسارة الدراما السورية لبعض هؤلاء مع الاعتراف بأهمية ووزن بعضهم في الساحة الفنية السورية أمثال (جمال سليمان، فارس الحلو، مي سكاف، سامر المصري)، مع ضرورة الإشارة هذا إلى أن هناك بعض الأسماء المهمة الأخرى التي ربما تكون قد خرجت من سورية للبحث عن فرص عمل أفضل في الخارج أو نتيجة الخوف من المستقبل أو لأسباب أخرى أمثال (باسل خياط، تيم حسن، عابد فهد، قيس الشيخ نجيب)، ومن الطبيعي أن يكون لخروج هؤلاء وغيرهم من نجوم الصف الأول الأثر الكبير على صناعة ومستوى الدراما هناك.

وخلال سنوات الحرب فقدت الدراما السورية نجوماً كبار ممن رحلوا خاصة من الذين كان لهم وزنهم وقيمتهم في الأعمال الدرامية السورية أمثال (خالد تاجا، رفيق السبيعي، عبد الرحمن ال رشي، حسن دكاك، عمر حجو، نضال سيجري) وغيرهم، إضافة إلى بعض الفنانين الذين قتلوا على أيدي الجماعات الإرهابية مثل (ياسين بقوش، محمد رافع) وهؤلاء كان لهم حضورٌ جيدٌ في سماء الدراما السورية.

ونظراً لهذه الأجواء وأزمة التسويق والتوزيع للأعمال الدرامية السورية وشح الإنتاج تم الاعتماد بشكل رئيسي على الكثيرة، على الكثيرة، على الكثيرة، وأصبح إنتاج العمل يتطلب جهداً مضاعفاً نتيجة الصعوبات الكثيرة، وانخفضت الأجور بشكل ملحوظ نظراً لقلـة فـرص العمـل، ممـا أدى لانتشـار ظاهـرة أنصـاف الموهوبيـن التـي أدت إلـي ظهور أعمال متدنية الجودة ومشغولة بأقل تكلفة وجهد ووقت ولغايات ربحية بحِتة، وفي ظل هذه الظروف اعتكفت كثير من الأسماء الكبيرة في عالم الكتابة والتمثيل والإخراج عن العمل خوفاً من استغلال المنتجين لهم وتبخيس قيمتهم وحرصا على تاريخهم الفني.

نتيجة لهذا الوضع المتردي في الإنتاج الدرامي، حاول بعض صنّاع الدراما الهروب إلى الامام عبر بوابة الاعمال المشتركة أو الأعمال الهجينة وكانت هذه الخطوة بمثابة طعنة قوية للدراما السورية وربما أسوأ ما تعرضت لـه، حيث نتج عن هذه الخطوة ظهور أعمال لا تنتمي لواقع وبيئة المجتمع السوري وهجين غريب مستوحى من الأعمال التركية والمكسيكية ويتناوِل مظاهر وعادات لا تنتمي للمجتمع العربي بصلة، مع بذخ غير مفهوم في مجال الصورة والديكور وبدا ذلك واضحاً في أعمال مثل (الأخوة، تشيللو، 24 قيراط، الهيبة).

ازدادت في تلك الفترة ظاهرة أعمال البيئة الشامية كون الطلب عليها أفضل من غيرها، وتكرست معها ظهور فكرة الأجزاء حيث أصبح العمل يظهر بعدة أجزاء حاملاً في طياته الكثير من المغالطات التاريخية والتشوية لصورة الشام القديمة وتكريس بعض مظاهر التخلف وبعض الأفكار والمصطلحات والألفاظ المكررة والمستهلكة وكثيراً من المفاهيم المرتبطة بالعنف والثأر ومن هذه الأعمال (طوق البنات، باب الحارة، عطر الشام، خاتون).

أما الأعمال التاريخية فكانت شبه غائبة خلال فترة الأزمة نظراً لتكلفة إنتاجها العالية باستثناء أعمال قليلة لم تكن بالمستوى المعتِاد الذي كانت تقدمه الدراما السورية والتي تفوقت خلال سنوات ما قبل الحرب بشكل لافت في هذه النوعية من الأعمال.



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

وبالنسبة للأعمال الاجتماعيـة فقد كانـت الأكثـر حضـوراً رغم التفـاوت فـي مسـتوياتها حيـث كانـت هنالـك اعمـالٌ اجتماعيـة تناولت أثـار الحـرب علـي المجتمع السـوري مـن زوايـا اجتماعيـة وسياسـية وركـزت علـي قضايـا مهمـة مثـل التهجيـر والقتـل العشوائي والأثار النفسية للحرب والانقسامات داخل المجتمع وتجار الحروب مثل (سنعود بعد قليل، بانتظار الياسمين، غداً نلتقي، الندم، في ظروف غامضة، زوال، عناية مشددة، قلم حمرة، تحت سماء الوطن، شوق، فوضى) وغيرها مع اختلاف في مساحة الجانب السياسي من عمل إلى أخر.

أما الاعمال التي تناولت القضايا العاطفية وموضوعة الحب فلم تكن أكثر من نافذة للهروب من المواجهة مع واقع الحرب، ولم تكن بمستوى العمل الجميل والملهم (أهل الغرام) بجزأيه الأول والثاني الذي يعتبر من أفضل الأعمال العربيـة التـي تناولـت قصـص الحب والغرام.

على مستوى الأعمال الكوميدية كانت السطحية والاعتماد على التهريج والتلاعب بالألفاظ والنكات المستهلكة وعدم الارتكاز على نـص يحمـل أفكار ومضاميـن هادفـة هـي السـمة الأبـرز فـي هـذه الأعمـال، فظهـرت تلـك الأعمـال بشكل ساذج فيه استخفاف بعقول المشاهدين، ويقوم عليها مجموعة من أنصاف الممثلين الباحثين عن فرصة للظهور، حتى أن الأجزاء التي ظهرت من المسلسل الكوميدي الشهير (بقعة ضوء) كانت ضعيفة ولم ترتق لمستوى الحدث ولإحتي لمستوى الأجزاء السابقة رغم تناولها في بعض اللوحات لموضوع الحرب، إلا ان ذلك لم يمنع من ظهور أعمال أخرى كانت بمستويات جيدة ومتماسكة مثل مسلسل (ضبوا الشناتي) والذي كان عبارة عن وجبة من كوميديا الحرب السوداء، وباستثناء أعمال مثل (يوميات مدير عام/ الجزء الثاني)، (أزمة عائلية)، (الخربة، الواق واق) للثنائي ممدوح حمادة والليث حجو لم تبرز أي أعمال كوميدية هادفة وذات مضمون جيد وبعيدة عن التهريج والسطحية.

وشهدت فترة الأزمة ظهور نوعية من الأعمال تقوم على البطولة النسائية الجماعية أو الفردية، بعضها كانت ذات مضاميـن تاريخيـة وسياسـية مثـل مسلسـل (حرائـر) ومسلسـل (وحـدن)، وبعضهـا كان يتطـرق لأثـار الحـرب علـي المـرأة السورية مثل (امرأة من رماد).

عموماً وبغض النظر عن الانحدار الذي طرأ على مستوى الدراما السورية خلال فترة الحرب بسبب الظروف غير الطبيعية، إلا أن مجرد البقاء والاستمرار والإصرار على العمل في أجواء الحرب الملتهبة في الوقت الذي كانت فيه العاصمة دمشق تتعرض للقصف والحصار، وفي الوقت الذي أصبح فيه الموت يستهدف الجميع هو بحد ذاته فعل مقاومـة وتحدٍ وتأكيدٌ على الرغبـة بالحيـاة ورفـض للمـوت وانتصـارٌ للفن والثقافـة، مـع الأخـذ بعيـن الإعتبـار أنـه عندمـا كانت المصانع في حلب تتعرض للسرقة والنهب لتعطيل عملية الإنتاج كانت هنالك محاولات لتفتيت وقتل المنجز الإبداعي الدرامي في سورية، إلا أن سورية كانت أقوى من ذلك فمرضت ولم تمت، وهذا كان حال الدراما فيها.

تاريخية السبيرة (8) – أوّل الطريق

محمد العملة

وصلنا في الجزء السابق إلى فهم سببيّ لترتيب أحداث الدعوة المتزامنة مع قرآن الفترة الأولى المكيّ، تحديداً في النيزاع الذي تكشفت بوادره مع السور الأخيرة في قرآن تلك الفترة، وهو نزاع يتزامن مع قرآن الفترتين الثانية والثَّالَثَة المكيّ الزاخر بقصص الأنبياء التي تتحدّث عن التربص بالمكذبيّن، والحقّ أن فيها نظّرة تشاؤمية تجاه ا الإنسانية؛ تفسّرها النتيجة التي أجاقت بالقرون والأمم السابقة التي كذّبت رسلها واستهزأت بهم. هذا الرجوع إلى التاريخ -قصص الأنبياء- يمكن تفسيره أيضاً ب:

- التمادي في خط التَّاريخ ''المقدس'' اليهو دي المسيحي، وتقديم الإسلام كامتداد له.
- إضفاء شر عية على الرَّسل العرب '' شعيب وصالح و هود"، أي منح العرب ماضياً مقدّساً في الإرث التّوحيديّ.
- أنّ استرجاع الماضي بتاريخـه إلواسع، والتأرجحَ بينـه وبيـن التاريّخ الأنـي والمستقبَل، يكشّف عـن منهجيـة تعتمـد صيغـة أسلوبية بديعة، حيث المستقبل يمَثِّل في السياق القر آني على أنه حصل وتم.



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

• أنّ دخول عنصر التاريخ ترافِق مع عناصرِ الجدل والمحاججِة العقلانية التي ازدادت مع ارتفاع حدّة النرّاع بين قريش والنّبي، فأعطت القرآن أسلوباً شاعريّاً نرى فيه تكراراً، لأنه كان خطابًا شفاهيّاً في الأصلّ.



لكن هذه المحاججات كانت ذات طابع منطقي جدليّ لا فلسفيّ، وهنا يظهر الفرق بين الأدبيات المسيحية اليهو دية والقرآن؛ فالأولى تقول أن الله أنعم بكذا وكذا، وأنــه فعـل كذا وكذا، فيوجِّه إليه الشَّكر دون الَّبر هنـة علـي وجوده، أما القرآن فلا يسلّم بالأمر دون استدلالات منطقية، يضاف إلى ذلك أنه ارتقى بعيداً عن الكتب الدينية السابقة له في تنزيه الإله وتعريف هويّته التي ﴿ليس كمثلها شيء ». يعبُّر هشام جعيط عن الكلام السابق بقوله: «هذا القَّر أن هـو حقًّا أكبـر نشـيد للإلـه الخالـق، يضـم فـي أن، الصيغـة الغنائية الشعرية والصيغة العقلانية، وكلُّ هذاً ضمن عمليَّة إقناع قويّة مستديمة تضرب دوما على نفس الوتر... وُلِعِلْ هَذَا الوعي، هو الذي قاد الخطاب القرآني إلى إنكار التثليث المسيحى؛ فالله ليس كالإنسان يمكن أن يلد، ولا يمكن له أن يتجسّد إنساناً، هو قوّة فوق كل ذلك، هو الطاقة العظمى في أصل عالم متسع لا متناهي الأطراف، ومن هنا تسميته بالرحمان، الإله الأب عند المسيحيين، والإله الوحيد في القر أن».

نظرة تجريديّة:

أمرٌ آخر يتصل بالمحاججات القرآنية، أنها موجهة للمؤمنين

بالدرجة الأولى، وتعبر عن قناعات النبي العربي وعن غضب الله لذاته، فهي تمثيل للرسالة التي دعا إليها النبي، أي أنها إفصـاح عن عناصير الدعوة التي انقلَبت على موروث الأبـاء، فنجد القيرآنِ هنـا مِحاججـاً غيـرٌ المؤمنيـن بــه بالقولُ: «فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا»، لكنهم يجيبون بما يورده القرآن أيضاً أنه لو شاء الله لهدى هؤلاء الآباء ولكانوا مؤمنين، وهي حجة منطقية على أية حال.

الفكرة هنا أن القرآن يورد حجج خصومه في سياقات عديدة، بأنهم قالوا كذا وكذا، وأن هذا رأيهم، دون أن يتكلف عناء الرد عليهم، كأن الصراع قائمٌ بين الحقيقة المتعالية المطلقة من جهةٍ، وبين الحياة والموروث من جهة أخرى. يـرى «جعيـط» أن أشـراف قريـش بمؤمنيهـم ومشـركيهم رأوا فـي القـرآن أمـراً مدهشـاً، إذ يخاطبهـم بلسـانهم، لكـن بمنهجيـة لُمّ يألفوها، فتفتح الباب لتساولات مرعبة فوق طاقتهم كبشر، لم يتمكنوا من التهرب منها إلا بالتسليم ورفع اليدين أمام ‹‹الحقيقة›› ممثلة بالدين الجديد، أو نكران هذه الحقيقة أمام الحياة الإنسانية الممنوحة، وبالتالي نكران الغائب باسم المُشَاهَد، والمستقبل باسم الحاضر! أمورٌ إذن دفعتهم للحُكم علَى المبعوث فيهم بالسّحر والجنون وقول الشّعر، وهي أوصاف أتفق تماماً مع رأي «جعيط» بشأنها في أنها ليستُ شتيمة، إنما هي محاولة تشخيص لحالة النبيّ بناءً علي ما يعرفونِـه أو يوافيق منَّطقهم؛ فهو مجنـون في رأيهم لأنـه ممسوس ِبالجـن مـنّ حيِث يأتيـهِ الوحِـي، وهـو شـاعر لشـاعرية القرآن وأسلوبه الأدبيّ، وساحر لتنبؤاتـه بالبعـث والجـزاء، وأخيـراً قالـوا عنـه بأنـه «مُعلم» أمليت عليـه الرسـالة التـي يدعو لها، ولهذا لم يلق النبي إلا النكران من معظم قومه بعد أن اشتد النزاع بين الطرفين، فنجد قر أن الفترتين الثانية والثالثة يمنح دلالات جديدة لبُعض المفرادت مثل:

«الكُفْر»، فهي إن كانيت تدل على معنى مضاد للشّكر في بعض السياقات، إلا أنها صارت تدل في سياقات أخرى على معنيَّ عقديٌّ يتعلق بجمود اليوم الأخر ووحدانية الخالق. إنَّ دلالات مفردات هاتين الفترتين تعطينا تصوراً أنه كان من المستحيلُ لقريش أن تسلِم مهمًا أفاض القرآن في المحاججة، فكان النزاع والقطيعة من بعده، ثم الفتنة فالهجرة، وكلها أحداث تحدثنا عن أسبابها لكننا لم نقف على تفاصيلها بعد، ولئن كان المصدر الأولى (القرآن) يعطى تصوراً عن المسار الذي سلكه النبي (خلال المرحلة المكيّة) ؛ فإننا لا نجد فيه شواهد تفصيلية عن القطيعة مع بني هاشم،



العدريّة (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد الفتنة، الهجرة إلى الحبشة، رحلة النبي إلى الطائف، دعوة القبائل، وكلها مفاصل مهمةً في الدعوة المحمديّة قبيل الهجرة إلى يثرب، وهنا يأتي دور كتب السيرة لأنها تمنحنا تفاصيل كثيرة لا غنى عنها.

كنا قد أسلفنا سابقاً أن القرآن في مرحلته المكيّة لا يزخر بتفاصيل الأحداث كما القرآن المدنيّ، وهذا دفعنا للبحث في كتب السيرة الأولى دون غيرها (راجع الجزء الثاني) لمحاولة استقراء سردية منطقية للدعوة. من الممكن طبعاً أن يقول مؤرخ صارم بأن ما في كتب السيرة غير واقعي، لكن المؤرخ يعلم أيضاً أن قراءة السيرة -تحديداً المرحلة المكيّة للمكتن أن تسلك سبيل السرد التاريخي العادي، من هنا يأتي دور القراءة النقديّة لمحتوى هذه الكتب التي جهدت لتعطي إطاراً تاريخياً وزمانياً لسلسلة الأحداث، دون إغفال عنصريّ الأسطورة والأبعاد السياسية التي خلقت أدواراً أكبر من حجمها لصحبة النبي أو أهل بيته وعشيرته ضمن سطورها، ونفذت إلى المخيّلة الجمعيّة وحتى إلى كتابات المستشرقين.

نظرة تفصيليّة:

رغم التشويش الذي يكتنف صفحاتها، يمكن القول أن سيرة ابن إسحاق هي الأكثر صحّة، بل قد يكون التشويش علامة على أقدميّتها واقترابها من الأصول. في سيرته، يفصّل ابن إسحاق اللقاءات والحوارات التي جرت بين سادات قريش والنبي العربيّ في أول الدعوة، ويظهر فيها عم النبيّ "أبو طالب" بمظهر الحليم الساعي للتهدئة، دونما انحياز لأي طرف. هذه الحقبة تتزامن مع قرآن الفترتين الثانية والثالثة المكيّ، أي أنها تفصّل وقائع عديدة حدثت قبل وبعد القطيعة بين قريش وبني هاشم وينس وبني هاشم، ويظهر فيها أثر أبي طالب خلال أربع مناسبات تكن بالصورة التي يرسمها المخيال الإسلامي كحصار لبني هاشم، ويظهر فيها أثر أبي طالب خلال أربع مناسبات طلبت فيها قريش منه التدخل كي يكفّ النبيّ عن دعوته في ثلاث، وهددت بقتل النبي في الرابعة.

مسألة قتل النبيّ يراها "جعيط" تدخل في باب القصص والخيال عند ابن إسحاق وغيره لسببين: الأول، ملء الفراغ في سرديّة النبي العربي، والثاني مداراة وتملّقُ بني العبّاس، بأن يرفع من شأن حماية أبي طالب ومن ورائه بني هاشم. بكل الأحوال لم يكن هناك مجال لتسليم النبيّ أصلاً، إذ لا معنى لذلك في إطار الأعراف القَبَليّة، فالنبيّ محمي من القتل بل ومن الأذى البدنيّ بقوانين الثأر التي تسير عليها كل عشيرة عبد مناف.

بالحديث عن عشيرة عبد مناف، يورد ابن إسحاق قصيدة طويلة منمقة، يشكو فيها أبو طالب ما يقاسيه من قومه وعدم تضامن عشيرة عبد منـاف معـه فـي الضغـط الـذي يتعـرض إليـه. القصيـدة مثلهـا مثـل كثيـر مـن الأشـعار تبـدو ملفقَة، وفي الغالب كان ابن إسحاق يجمع الأخبار وبعض الشعر، ثم يطلب من "شعراء مِهَنييّن" أن ينمقُوا الأبيات ليضعوها في قصيدة كاملة، وهذا ما جعل ابن هشام يحذف الكثير منها عند تهذيبه لسيرة ابن إسحاق. لكن في المقابل، القصيدة تَظهِر معرفة بتلك الفترة؛ أو ما يعبّر عنه "جعيط" بقوله: "إننا هنا بإزاء خيال تاريخي حقيقي يريد إعادة تشكيل المشهد القديم.. أعني مجهوداً ممتازاً لإعادة تركيب الماضي والقبض على ما تبقى منه وتزويده بخيال صميم"، والفكرة من هذا الكلام أن ما يعاب على بني عبد شمس (في القصيدة) ليس مشاركتهم في اصطّهاد النبي، بـل تهربهـم مـن واجـب المسـاندة لبنـي هاشـم، وبالتالـي اعتبـار عبـد منـاف كعشـيرة قائمـة بذاتهـا، غيـر منقسـمة كمـا تريـد أن تشعرنا بذلك السِّير، ولعل هذا سبب القطيعة، أيّ شكوى أبي طِالب من خذلان بني عبد شمس لـه -وهم مع بني هاشم يشكلون عشيرة عبد مناف-، والبلاذري في تأريخه يقول بأن أبا طالب جمع سلالة بني هاشم وانحاز بمحض إرادتُه إلى الشِّعب، وأن المقاطعة كانت في سياق المعاملات ولم تكن حصاراً ضربته عشائر قريش الأخرى على بني هاشم، بينما نجِد العكس من هذا الكلام عِند ابن سعد الذي يتحدث عن حصار حقيقي دام ثلاث سنوات، وتبدو رواية البلاذري في أن القطيعة لم تكن حصاراً أكثر منطقية؛ فهو اتبع سبيل الدقة أكثر من غيره، لأنه نسّابة لم يلتفت كثيراً للسرديات التي يدخل فيها الخيال لملء الفراغات والتفاصيل، بل إنه ينكر العديد منها عند ابن إسحاق وغيره، مثل حكاية "صحيفة المقاطعة" المعلَّقة على جدار الكعبة، التي تعبّر عن إجماع قريش على حصار بني هاشم، وهو ما لم يحصل بحسب رأي البلاذري.



العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

خلال القطيعة وقع حدثان مهمان هما:

1. الفتنة، قلنا في الجزء السابع حمن هذه المقالة- أن فريقاً من قريش له أموال في الطائف أبدي اعتراضاً على التقارب الذي أحدثه بعض أشراف قريش مع النبي العربي، وخلال فترة القطّيعية، أُغرى هؤلاء سفهاءهم لإيذاء النبي ومن أمن معه، وهو على كل حال خبر يتزامن ويتوافق مع ما جاء في قرأن الفترة الثانية المكي. هذا الإيذاء اصطُّلَحت كتب السيرة على تسميته بالفتنة التِّي نجد لها شاهداً من سورة البروج في الآية: " إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق"، وهو ما كان سبباً في الهجرة إلى الحبشة. تِتحدث بعض كتب السيرة عن هجرتين، بالاستناد على حكاية "الآيات الشيطانية" التي دحضناها سابقاً، فيتبقي لنا إذاً هجرةً واحدةً، حصلت حسب تراتبية الأحداث نتيجة للفتنة، وهنا نجد أيضاً في كتب السّيرة ما يسقط كثيراً من الحوارات التي انبنت حكاية الهجرة عليها، لعل أبرزها حوار النجاشي مع عمرو بن العاص، أو ما يعرف بسفارة قريش إلى النجَّاشي، لمحاولة تأليبه على من هاجر من المسلمين إلى بـالَّده (الحبشـة)، والني يقول البـلاذري بصددها أنها "وَ هُم"، إضافة لأن إسناد القصَّة غير متماسك في سلسلة من رواها، إنمًا هي كِغيرها تدخل في تركيب الضمير الشعوبيّ. 2. وفاة عم النبيّ أبي طالب، وبذلك انتقات سيادة بني هاشم إلى عمّة (أبي لهب)، وهو أمر يسهل تصديقه، إذ يدخّل في العرف القبليّ، لكن ميا لا يصِدّق هو تلكِ القصة التي يذكر فيها ابن سِعد أن أبا لهب سحب حمايته للنبيّ بعد أن سأله عن مصير عبد المطّلب، فأجابه النبي أنه في النّار. يرى "جعيط" أن ابن سعد في سيرته سعى لإبراز تواصل العداوة بين أبي لهب وابن أخيه، وبالتالي تبرير إخراج قريش للنبي، وهو ما يتحاشى ابن إسحاق أن يذكره في سِيرِتُه، أَمَا البِلاذري فيمر علي المسالة سريعاً، وعلي كل حال، لم تعد مسالة حريّة الدعوة في مكّة متاحة، بعد أن أخرِجَ منها النبيّ وهاجرت جماعته إلى الحبشة، مما يفسر رحلة النبي العربي إلى الطائف واتصاله بعدها مع أهل يثرب، وهو ما سنتناوله في الجزء الأخير!

يتبع..



قصيدة العدد:

صبوا الدماء على قبري بلا أسف الشهيد رفيق رزق سلوم الغرب أهلي ولا سورية داري إن لم تهبوا لنيل الحق والثار ان نمتمُ عن دمي لا كنتمُ أبداً وكان خصمكمُ في المحشر الباري أنا الذي دمهُ على الأرض منتشر عنكم الأرض منتشر عنكم بأيدي وحوش كلها ضار قتلتُ ظلماً وغدراً بل وتضحية عنكمُ بأيدي وحوش كلها ضار فالترك اسمهم فيه قد اجتمعت كل الرذائل من ذل ومن عار كم أهرقوا من دم ظلماً وكم هتكوا في الأرض عفة زوجات وأبكار فاليوم من مضجعي أبدي لكم في الأرض عفة زوجات وأبكار كونوا على الترك أبطالاً ضراغمة صبوا الصواعق من جمرٍ ومن نار لا تتركوا رجلاً منهم يدب على رجل وعفوا عن اللاني بأخدار واستجلبوا لي كأساً من دمانهم في الأرف على قبري بلا أسف كلا ولا جزع هطلاً كمدرار

*رفيق رزق سلوم، مفكر وشاعر عربي سوري من حمص ولد عام 1891 وأعدمه الأتراك في 6 أيار 1916، والقصيدة أعلاه كتبها في السجن بعد تبليغه بقرار الإعدام، وبالإمكان مراجعة المادة المتعلقة بالشهيد وبعض إنتاجه الفكري والعلمي في هذا العدد من طلقة تنوير.





العدد رقم (50) صدر في 1 تموز عام 2018 للميلاد

كاريكاتور العدد



انتهى العدد